

الحكم فى فلسطين I: غزة تحت سيطرة حماس

تقرير الشرق الأوسط رقم 73 – 19 آذار/ مارس 2008

قائمة المحتويات

i	موجز تنفيذى وتوصيات.....
1	I. مقدمة : من اليأس الى الدمار
1	أ. عزلة غزة المتزايدة
5	ب. معركة حماس على الجبهتين
6	II. شكل النظام الجديد
6	أ. ضبط الأمن
6	1. الأمن الخارجى
9	2. الأمن الداخلى
12	ب. السيطرة التشريعية والقضائية
13	ج. السيطرة البيروقراطية
14	د. الأسلمة؟
16	هـ. الأوضاع الاقتصادية
20	III. التعامل مع المعارضة الداخلية.....
21	أ. فتح
23	ب. إسلاميون آخرون
26	IV. توتر بداخل حماس
28	V. الخاتمة : وماذا بعد؟.....
28	أ. المصالحة الوطنية
29	ب. وقف إطلاق النار والمعابر الحدودية
	ملاحق
34	أ. خريطة غزة

الحكم في فلسطين I: غزة تحت سيطرة حماس

موجز تنفيذي وتوصيات

كما يوضح عمل ميداني واسع النطاق قامت به مجموعة الأزمات الدولية في غزة، فإن الحركة الإسلامية اقتربت من تحقيق احتكار فعال لاستخدام القوة وللنشاط السياسي العلني. فقد أعادت تشكيل النظم القانونية والتشريعية، وأصبحت تتمتع بحرية أكبر في إعادة تشكيل المجتمع من خلال إدارة قطاعات الصحة، والتعليم، والشؤون الدينية.

إن هؤلاء الذين كانوا يسعون إلى تقويض حماس قد قدموا لها يد العون. فالذين يؤيدون سياسة العزل تلك يشيرون إلى أن الفلسطينيين في غزة ينقلبون ضد حماس، ومما لا شك فيه أن هناك ضيقاً حقيقياً من الصعوبات الاقتصادية وغضب من سلوك الإسلاميين العنيف ومن تكتيكات حماس القاسية، ولجوءها للعنف، وكبحها لوسائل الإعلام والحريات، وهو الأمر الذي ولد استياء وخيبة أمل وخوف في صفوف الكثير ممن أدلوا بأصواتهم للإسلاميين. لكن هذا ليس إلا وجهاً واحداً للعملة. فالوجه الآخر للعزلة هو تمكن الإسلاميين من الحكم بدون عائق كبير. وعندما قامت السلطة الفلسطينية برئاسة عباس بمقاطعة أجهزة الأمن الجديدة والقضاء والقطاعات الحكومية الأخرى بالإضافة إلى تقليص الصلات الإدارية مع حكومة حماس فإنها خلقت فراغاً قامت حماس بملئه. وأدى الغياب الدولي لتقلص النفوذ الخارجي، وتسبب إغلاق المعابر في انهيار القطاع الخاص الذي يدين بالولاء تقليدياً للسلطة الفلسطينية. وكالعادة، فإن العقوبات الاقتصادية التي تهدف إلى إيذاء الحكام لم تؤد إلا للمحكومين. ووجدت حماس سبلاً لتمويل حكمها في غزة، في حين أصبح الحصار ذريعة ممكنة لتبرير ممارساتها القاسية. قد يكون الوضع في غزة مأسوياً، إلا أنه من وجهة نظر سيطرة حماس ليس وضعاً يدعو لليأس، فقد استطاعت أنظمة حكم أقل شعبية منها بكثير أن تستمر في أحوال أكثر صعوبة من هذه.

من ناحية أخرى، استطاعت حماس أن تسجل عدد من النجاحات. فقوات الأمن الجديدة التابعة لها استطاعت تدريجياً استعادة النظام، كما سيطر مسلحوها على استخدام السلاح وخفضت القيادات العشائرية القريبة منها الصراعات الدموية بين العشائر، وتم السيطرة على الأنشطة الاجرامية والعداوات بين العصابات بشكل ملحوظ.

والأسئلة الآن ليست جديدة، وهي: هل نظل نمارس الضغط على حماس على أمل تقويض حكمها مع المخاطرة بانفجار أوسع؟ أم يتم استخدام قوة عسكرية خارجية أكبر تكون مخاطرها أيضاً

لقد ثبت أن سياسة عزل حماس وفرض العقوبات على غزة سياسة مفلسة وقد أدت إلى عكس النتائج المرجوة في كافة المجالات، حيث تصاعد العنف الذي يضر بالفلسطينيين والأسرائيليين معاً، وأصبحت الأوضاع الاقتصادية في القطاع مأساوية، بما يولد الغضب واليأس، وأضررت هذه السياسة بمصداقية الرئيس الفلسطيني محمود عباس وغيره من العناصر البراجماتية. وفي الوقت الذي تتعثر فيه عملية السلام، تتعزز قبضة حماس على قطاع غزة - وهو عكس الهدف الرئيسي لسياسة العزل تلك.

ويقوم الآن عدد من الفاعلين الرئيسيين بإعادة تقييم الخبرات المطروحة أمامهم نظراً لأدراكهم بعدم امكانية استمرار الوضع الراهن على المدى الطويل. فتقوم إسرائيل بدراسة خيارات عسكرية أكثر دموية انطلاقاً من قلقها من تنامي الترسانة العسكرية لدى حماس. لكنها تبحث بحذر - مع جهات أخرى - خيار أكثر حكمة يتضمن وقف متبادل لإطلاق النار، وتعاون دولي لمنع تهريب الأسلحة، وفتح المعابر المؤدية لقطاع غزة. هذا الخيار يتطلب تقديم تنازلات من جميع الأطراف المعنية. إن مصير غزة ومستقبل عملية السلام على المحك.

ومنذ فرضت حماس سيطرتها الكاملة على غزة في يونيو 2007 تم تشديد العقوبات التي كانت قد تم فرضها بعد فوز الحركة الإسلامية في انتخابات في يناير 2006. وقامت إسرائيل بتقليص حركة المرور عبر الحدود، مشيرة إلى أنه من غير المعقول أن تقوم بتمويل وتجهيز الكيان الذي يطلق حكامه صواريخ على مواطنيها. وفي محاولة لتقويض مكانة حماس، ساهمت السلطة الفلسطينية المتمركزة في الضفة الغربية في عزل غزة ومنع الحكومة من ممارسة عملها الطبيعي. وبغض النظر عن بعض الاحتجاجات الضعيفة، فإن المجتمع الدولي - بما في ذلك العالم العربي - كان سلبياً في أحسن الأحوال.

إن المنطق الذي يقف وراء هذه السياسة هو إثبات أن حماس لا تستطيع أن تبقى بوعودها وبالتالي يجب أن تتحى جانباً، وكان الأمل أن تتحول الضفة الغربية - بفضل النمو الاقتصادي، والتخفيف من الإجراءات الأمنية الإسرائيلية، وإعادة إحياء عملية السلام - إلى نموذج جذاب على عكس الوضع في غزة. لكن النظرية فشلت في الحالتين.

الوطنية، وما إذا كان من الممكن الوصول إلى وقف إطلاق النار يرفع الحصار عن غزة ويسمح لسكان القطاع والاسرائيليين الموجودين بالقرب من الحدود أن يعيشوا حياة طبيعية، وما إذا كان المجتمع الدولي سيلعب - بعد طول انتظار - دوراً بناءً في تشجيع الأطراف على تحقيق هذه الأهداف.

يحلل تقرير لاحق خاص بمجموعة الأزمات الدولية الوضع في الضفة الغربية.

التوصيات

لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في قطاع غزة، وحركة التحرير الفلسطينية (فتح)، ورئاسة السلطة الفلسطينية وحكومة "فياض":

1. التحضير لحوار يهدف لتحقيق المصالحة الوطنية مع اتخاذ إجراءات فورية لتخفيف التوتر وإعادة بناء الثقة، مثل:

- أ. وقف جميع الحملات الإعلامية والتحريض المتبادل؛
- ب. وقف المضايقات وعمليات احتجاز عناصر "فتح" في قطاع غزة وعناصر "حماس" في الضفة الغربية؛
- ج. الاتفاق على إجراءات تهدف لاستعادة رموز الوحدة الفلسطينية في غزة، بما في ذلك إخلاء "حماس" لمقر الرئاسة ومقر السلطة الفلسطينية الأخرى.

2. لحين التوصل لاتفاق المصالحة الوطنية، اتخاذ خطوات لتحسين الحكم في غزة وتخفيف معاناة سكانها، بما في ذلك:

- أ. بالنسبة لحكومة حماس في قطاع غزة:
 - i. تمكين المؤسسات العامة من العمل دون تدخل من قبل الفصائل والجماعات المسلحة ودون تمييز ضد موظفين الحكومة أو ضباط الشرطة الذين اشتركوا في الاضرابات التي تلت استيلاء حماس على السلطة في يونيو 2007؛
 - ii. التمسك باستقلال القضاء، وإعادة تعيين النواب العموميين الذين تم فصلهم أو منعهم من أداء وظائفهم، والالتزام بالاجراءات القانونية في عمليات الاحتجاز والاعتقال والمحاكمة؛
 - iii. السيطرة على أنشطة المسلحين والمجموعات المسلحة، ومنعهم من التدخل في شئون حياة المواطنين اليومية، ووقف التعدي على حرية التجمع وحرية التعبير وحرية ممارسة الأنشطة السياسية السلمية؛
 - iv. ضمان تقديم الخدمات العامة للمواطنين بشكل محايد.

ب. بالنسبة للسلطة الفلسطينية في رام الله:

أكبر؟ أم نحاول تثبيت الوضع من خلال إشراك حركة حماس، ونقوم بفتح معابر غزة، والسعي للتوصل لوقف إطلاق النار وذلك مقابل إعطاء الاسلاميين اعتراف دولي أكبر؟ هناك منطقتان للخيارين الأولين، فأى خطوة في اتجاه حماس وتخفيف العقوبات عليها من الممكن أن يرسخ مكانة الحركة في غزة، كما يمكن أن تستغل حماس فترة وقف إطلاق النار لتعزيز قواتها.

لكن الحجج المضادة لا تزال أقوى. فالعقوبات والضغط العسكري زادتا من قوة قبضة حماس. فكون الحركة قد فقدت جزءاً من شعبيتها يوحي بأن السعي لإضعاف حماس من خلال الضغط على غزة قد نجح. إلا أن هذا النجاح لا معنى له، فخسارة حماس ليست بالضرورة مكسب لـ "فتح"؛ فأهالي غزة يلومون الاسلاميين لعدم قدرتهم على إنهاء الحصار، لكنهم أيضاً يلومون إسرائيل التي فرضته، والغرب لأنه دعمه، و"فتح" لأنها أذعنت له. كما أن تزايد الحديث عن الخيار العسكري يزيد من قوة عناصر حماس الأكثر تشدداً وتسليحاً، ويعزز من مكانة الحركة. ويعزز انتشار الفقر واليأس من جاذبية الجماعات الجهادية، خاصة بين أهالي غزة الذين لا يتجاوز عمر نصفهم 16 سنة.

لقد أثبتت حماس مهارتها في إعادة صياغة قواعد اللعبة من خلال صناديق الاقتراع، والرصاص، واختراق الحصار. وكلما اشتد الضغط على حماس كلما زادت حدة الصراع الفلسطيني- الفلسطيني، وكلما زاد ميل الاسلاميين لإفشال المفاوضات بين الرئيس عباس ورئيس الوزراء أولمرت. وقد أظهرت حماس بالفعل قدرتها على تعطيل محادثات السلام. فهل يمكن أن تستمر عملية السلام - أو ما بقي منها - طويلاً في حالة ما إذا تصاعدت أعمال العنف؟ إن تهديد فرص التسوية السياسية لا يأتي من حصول حماس على مكاسب، وإنما يأتي عندما تستنتج حماس أنه ليس لديها شيء لتخسره.

ولا يعني ذلك أن البديل سيكون سهلاً. فإسرائيل لديها دواعي مشروعة للقلق من كيفية استغلال حماس لوقف إطلاق النار، كما أن السلطة الفلسطينية تخشى أن تفقد مصداقيتها إذا غيرت مسارها، ولن تقبل حماس وفقاً للأعمال العدائية إذا استمرت معزولة وإذا ظلت غزة تحت الحصار. وللتعامل مع هذه المصالح المتنافسة بنجاح يجب أن يتضمن وقف إطلاق النار التزام متبادل بوقف كل الهجمات من وضد غزة، وفتح المعابر لتخفيف معاناة الفلسطينيين في غزة، وتعاون المجتمع الدولي في جهود مراقبة فعالة لمنع التهريب من مصر إلى غزة.

إن الوضع الراهن لا يمكن استمراره. فإسرائيل لا تستطيع أن تقبل تهديد مواطنيها من جراء استمرار إطلاق الصواريخ، ولا يمكن لحماس أن تجلس مكتوفة الأيدي بينما تختنق غزة. وإذا استمرت الاتجاهات الحالية، يمكن تصور وقوع أسوأ السيناريوهات الممكنة: تصاعد إطلاق الصواريخ ضد البلدات والمدن الاسرائيلية، استئناف عمليات التفجير والهجمات داخل اسرائيل، تكثيف عمليات الغزو العسكرية الإسرائيلية والاعتقالات وعمليات الهجوم على المؤسسات الرئيسية، وانهيار عملية السلام، وفقدان القادة الفلسطينيين البراجماتيين لمصداقيتهم، بالإضافة لاحتمال انتقال الصراع إلى الضفة الغربية أو لبنان.

إلا أنه يوجد مخرج يجنبنا هذا السيناريو، وهو أمر يعتمد على ما إذا كانت "فتح" و"حماس" تستطيعان البدء في عملية المصالحة

iii. قبول وجود طرف ثالث، مثل موظفي الأمم المتحدة أو متعاقدين من القطاع الخاص، للمساعدة في إدارة المعابر والتواصل غير المباشر بين إسرائيل وحماس.

ب. كحل على المدى الأبعد:

i. الاتفاق على إعادة سلطات الحدود الفلسطينية إلى معابر غزة وفقاً للقواعد القائمة؛

ii. الاتفاق على إعادة قوات السلطة الفلسطينية إلى داخل المعابر وفي محيطها القريب، مع إعادة نشر قوات حماس على مسافة من الحدود، بالتنسيق فيما بين الجانبين؛

iii. الاتفاق على استئناف عمليات بعثة الاتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية (EUBAM) بدون تدخلات؛

iv. السماح باستخدام العائدات المحصلة عند المعابر في تمويل النفقات العامة لغزة مثل المرافق، وصيانة البنية التحتية، وتكاليف تشغيل مؤسسات مثل المستشفيات والمدارس والوزارات.

إلى أعضاء اللجنة الرباعية (الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي، الاتحاد الروسي، الأمم المتحدة)، مصر، وأعضاء جامعة الدول العربية:

5. التبنّي الواضح لهدف التأثير على سلوك حماس وليس السعي لإقصائها.

6. تحديد احتياجات غزة وزيادة المساعدات الاقتصادية لها.

7. الضغط على جميع الأطراف المعنية للوصول إلى اتفاق فيما يخص فتح المعابر ووقف إطلاق النار وتبادل الأسرى.

8. إقامة تواجد للجنة الرباعية في غزة لمراقبة الوضع هناك، وضمان التوزيع النزيه والمحايد للمساعدات الدولية، وتعزيز الانتعاش الاقتصادي، والإشراف على فتح المعابر.

9. إعادة احياء الجهود العربية للوصول لمصالحة بين فتح وحماس، بما يتضمن ذلك - ضمن أشياء أخرى - إقرار المبادرة العربية للسلام، تفويض رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بالتفاوض مع إسرائيل، دمج حماس والجهاد الإسلامي في منظمة التحرير الفلسطينية بعد إصلاح الأخيرة، إصلاح قوات الأمن بحيث يتم دمج المقاتلين والقوات الفصائلية الأخرى في قوة واحدة تكون أكثر اتحاداً وتماسكاً وانضباطاً.

غزة/القدس/بروكسل، 19 مارس 2008

i. تشجيع موظفي السلطة الفلسطينية وغيرهم من العاملين بالقطاع العام بالعودة إلى وظائفهم، بما في ذلك القضاة، والأطباء، والشرطة المدنية؛

ii. الحفاظ على - وعند الضرورة إعادة - دفع المرتبات لموظفي الحكومة وغيرهم من العاملين بالقطاع العام؛

iii. مواصلة دفع نفقات المرافق والخدمات الأساسية في قطاع غزة؛

iv. الدفع من أجل - وتسهيل كلما كان ذلك ممكناً - فتح المعابر في اطار الترتيبات المبينة أدناه.

إلى حكومة إسرائيل وحركة حماس:

3. الوقف الفوري ولمدة 15 يوم لكل الهجمات من قبل الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة ضد إسرائيل ولكل الهجمات الإسرائيلية ضد الفصائل الفلسطينية في القطاع، لإعطاء الرئيس عباس و/أو الوسطاء المصريين فرصة للتفاوض على تفاهات تؤدي لوقف مستديم لجميع الأعمال العدائية، يتضمن:

أ. التزام من جانب حماس بالامتناع عن الهجوم على أي هدف في إسرائيل، وضمان امتثال الفصائل الأخرى، والالتزام من جانب إسرائيل بالامتناع عن الهجوم على أي هدف داخل قطاع غزة؛

ب. التزام من جانب حماس بالتعاون في منع التهريب عبر حدود غزة؛

ج. تعزيز الجهود المصرية، بالتنسيق مع الجهات الإقليمية والدولية، لمنع التهريب؛

د. وجود مراقبين من طرف ثالث في غزة، بطول حدودها مع كل من إسرائيل ومصر، يتمتعون بتفويض للإشراف على احترام الأطراف للالتزاماتهم.

إلى حكومة إسرائيل، والحكومة المصرية، والسلطة الفلسطينية، وحركة حماس:

4. الاتفاق على ترتيبات تسمح بفتح مستمر ومنتظم لمعابر غزة مع إسرائيل ومصر، بما في ذلك:

أ. كإجراءات فورية:

i. السماح بعبور سريع لمن هم في حاجة إلى عناية صحية بالإضافة إلى الطلاب والتجار والأفراد الذين يعيشون في دول ثالثة؛

ii. زيادة عدد أيام وساعات فتح المعابر الإسرائيلية أمام حركة البضائع، وتوسيع قائمة السلع المسموح بعبورها، وإعادة مستوى إمدادات الوقود والطاقة إلى ما كانت عليه قبل يونيو 2007، والسماح بتصدير السلع التجارية الفلسطينية؛

الحكم في فلسطين I: غزة تحت سيطرة حماس

I. مقدمة : من اليأس الى الدمار

أ. عزلة غزة المتزايدة¹

اثمانية عشرة سلعة أساسية². ويشتكى تجار غزة من أن إسرائيل قد أزلت أسمائهم من سجل المستوردين الفلسطينيين المرخصين لهم³ مما أدى إلى ترك بضائع تساوي ملايين الدولارات عالقة في ميناء أشدود بقطاع غزة⁴. كما قامت إسرائيل بالحد من عبور الشاحنات؛ فيما عدا شاحنات النفط والحبوب والأموال، حيث يتم إلقاء البضائع على المنصات الناقلة في ميادين مغبرة على الجانب الفلسطيني من معبر صوفا. وعندما تم منع هذا بصورة متدرجة قامت إسرائيل بإعادة نقل البضائع إلى معبر كيريم شالوم الأصغر حجماً⁵. وقد إنخفض عدد الشحنات من 12 ألف شحنة شهرية في مارس 2005 إلى سبعة آلاف شحنة بعد مرور عام عند وصول حركة حماس إلى سدة الحكم ثم إلى ألفين شحنة فقط في شهر نوفمبر 2007⁶.

وفي شهر نوفمبر 2007 بعد تكثيف إطلاق الصواريخ على مناطق الحدود الإسرائيلية وما أعقبها من هجمات إسرائيلية على حماس وغيرها من الجماعات المسلحة في قطاع غزة، قامت إسرائيل بتضييق الخناق أكثر على غزة، حيث قامت بتخفيض الإمدادات الغذائية إلى النصف⁷ وتخفيض إمدادات الوقود وقامت بفرض قيود على دخول العملة الأجنبية. قال أحد العاملين في مجال المساعدات الإنسانية للمجموعة الدولية لإدارة الأزمات: "إ

في أعقاب إستيلاء حركة حماس على غزة في يونيو 2007، اشتدت العقوبات المفروضة على القطاع منذ فوز الحركة الإسلامية في الانتخابات التي جرت في يناير 2006. قامت إسرائيل بتقييد حركة عبور الركاب والبضائع بشكل كبير، وهو الأمر الذي كان له أثراً مدمراً بالنظر إلى أن إتصال غزة بالعالم الخارجي يعتمد بشكل كبير على نقاط الدخول والخروج الإسرائيلية. فبعد أن كان ما يزيد على مائة ألف عامل من عمال غزة يعبرون الحدود بصورة يومية إلى إسرائيل في بداية التسعينات، إنخفض هذا العدد إلى بضع عشرات. كما تم حظر الزيارات العائلية في السجون الإسرائيلية تماماً.

منعت إسرائيل عبور البضائع والأفراد. كما منعت كذلك عبور الصادرات من قطاع غزة وقامت بتقليص الواردات بشكل كبير وخفضت من ساعات تشغيل معبر كارني والذي يعد نقطة العبور الرئيسية للبضائع. وفي شهر سبتمبر 2007 وفي أعقاب تواصل سقوط صواريخ القسام على المناطق السكنية والقواعد العسكرية الإسرائيلية أعلنت إسرائيل قطاع غزة كياناً معادياً وشدت الحصار على القطاع حيث حظرت عبور جميع البضائع ما عدا

² السلع المسموح بها تتضمن: القمح، الدقيق، السكر، المأكولات المثلجة (بما في ذلك اللحوم المجمدة)، منتجات الألبان الإسرائيلية، الأرز، الخضروات، الفواكه، زيوت نباتية، الأدوية وإمدادات الوقود. السلع المحظورة تتضمن: الملابس، الأحذية، الصابون، المشروبات الغازية، التبغ، الحواسيب الآلية، السيارات، قطع الغيار، الأسمدة والمواد الخام المستخدمة في الصناعة.

Dignity Denied,

International Committee for the Red Cross، ديسمبر 2007.

³ "أزلت إسرائيل أسمائنا" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رجل

أعمال فلسطيني، مدينة غزة، شهر ديسمبر 2007.

⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع تجار غزة، مدينة غزة،

فبراير 2008.

⁵ في 28 أكتوبر 2007 أغلقت إسرائيل معبر صوفا وقامت بفتح معبر كيريم

شالوم، وهو معبر صغير تبلغ رسوم العبور فيه ثلاثة أضعاف رسوم معبر

كارني، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في الأمم المتحدة

في القدس، نوفمبر 2007.

⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول معونات محلي في مدينة

غزة، أكتوبر 2007. أنظر نشرة الحقائق الإنسانية الصادرة عن مكتب تنظيم

الشؤون الإنسانية التابع للأمم المتحدة (أونشا) 28 نوفمبر 2007، على الموقع

www.ochaopt.org/documents/Gaza_Special_Focus_Decem

ber_2007.pdf

⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في الأمم المتحدة في

مدينة القدس، نوفمبر 2007.

¹ تقول مجلة الإيكونوميست في عدد 2008/2/21 "الفلسطينيون كشعب يفنقرون إلى العديد من الأشياء، لكنهم لا يفنقرون أبداً إلى الكلمات... لكنهم وبالرغم من ذلك لم يستطيعوا حتى الآن إستحداث مصطلح يصفون به وضعهم الحالي" ولا يستطيعوا أيضاً الإتفاق على صفة يصفون بها حكاهم، حيث يعتبرهم البعض حكاهم غير شرعيين، حيث تدعى حماس أن الحكومة التي ترأسها اسماعيل هنية لا تزال هي الحكومة الشرعية حيث أنها تعكس الواقع الانتخابي والبرلماني. بينما تقول حركة فتح والرئيس عباس أن سلطات غزة جاءت نتيجة إقلاب غير شرعي، وأن الشرعية تكمن في الحكومة المؤقتة التي يرأسها سلام فياض. تلك الحكومة يصفها الكثيرون بأنها حكومة غير دستورية باعتبار أنه ليس لديها سند قانوني في القانون الفلسطيني الأساسي حيث أن المجلس التشريعي لم يصادق عليها. ومن أجل التوضيح، فإن هذا التقرير يستخدم مصطلح "السلطة الفلسطينية" عند الإشارة إلى رئاسة السلطة الفلسطينية ومؤسساتها المعينة، ومصطلح "حكومة فياض" عند الإشارة إلى السلطات الحاكمة التي تتخذ من رام الله مقراً لها ومصطلح "حكومة حماس" عند الإشارة إلى السلطات الحاكمة التي تتخذ من غزة مقراً لها. ولا تهدف هذه المصطلحات إلى التعبير عن موقف من الجدل الدستوري والقانوني الدائر حول السلطات الحاكمة المختلفة.

الواردات بسبب ندرتها وزيادة الأسعار العالمية وإرتفاع تكاليف النقل. وفي أواخر عام 2007، إرتفعت أسعار الحليب والدقيق بحوالي 50 %؛ وإرتفع سعر الدجاج بمعدل الثلث.¹⁵ كما لم تسلم البضائع المحظورة من إرتفاع الأسعار حيث تضاعفت أسعار السيارات المستعملة، وإرتفع سعر التبغ خمسة أضعاف والأسمنت عشرة أضعاف. ندرت المنتجات أدى إلى ظهور السوق السوداء. وبحلول شهر مارس عام 2008، كان سعر البنزين قد وصل إلى 25 شيكل (7 دولار) للتر الواحد، أي أربعة أضعاف سعره في السوق الرسمية.¹⁶ وعانى مهندسون التليفونات من قلة الأسلاك لتكيب خطوط جديدة¹⁷، كما عانت المستشفيات من عدم وجود قطع الغيار للغسالات لتنظيف الأغذية والملاءات المتسخة أو المخضبة بالدماء¹⁸. ولم يعد حفاروا القبور يجدون الأسمت اللزم لتغطية القبور الجديدة.¹⁹

وتزامن الحصار مع تحركات عسكرية إسرائيلية تهدف إلى الكشف عن الأفق والملاجئ المحصنة على الحدود.²⁰ ويتساءل المراقبون عن التوقيت الذي ستقوم فيه إسرائيل باجتياح غزة، ولكن الحقيقة أن إسرائيل قد اجتاحت غزة بالفعل، حيث قامت بمد المنطقة العازلة على طول الحدود الشرقية بأكملها، وتقوم الدبابات بالتعمق أكثر داخل القطاع.²¹ وبحلول شهر نوفمبر 2007 أصبح 17 % من مدينة غزة و35 % من الأراضي الزراعية فيها داخل المنطقة العازلة.²² كما تقوم إسرائيل بضرب منشآت حماس من الجو، من وقت لآخر، بما في ذلك مبنى تابع لوزارة الداخلية وستة مراكز شرطة.²³

إن الصنوبر الذي كان يقطر قبل الإعلان عن هذه الإجراءات الجديدة لم يعد به لإقطرات محدودة. نحن الآن جالسون أسفل الصنوبر في إنتظار القطرة القادمة⁸. وفي الثامن عشر من شهر يناير 2008 وفي ردها على موجة جديدة أكبر حجماً من الهجمات الصاروخية على بلدة سديروت، أعلنت إسرائيل الحصار التام، والذي قد خفف جزئياً بعد ذلك. وكعادتها بررت إسرائيل حصارها بأنها تجد نفسها في "موقف سخيف نسيم فيه بدخول السلع لكيان يقوم حكامه بإطلاق الصواريخ على مواطنينا، وهم يستغلون هذه السلع أحياناً - مثل الوقود والكهرباء - في تنفيذ هذه الهجمات."⁹

ومن السخرية أن إغلاق المعابر يؤدي أكثر الناس الذين يحتمل أن يمارسو تأثيراً معتدل وهم مجتمع رجال الأعمال. تترك محاصيل غزة المعدة للتصدير في حاويات في نقاط العبور حتى تقسد أو تغرق الأسواق المحلية مما يخفض من أسعار المنتجات المحلية خاصة الخضروات كما يؤثر أيضاً على الدخل القومي.¹⁰ ولأن قطاعات الصناعة والبناء والنقل جميعها دمرت، فقد إنتقلت عشرات من الأعمال التجارية إلى الضفة الغربية والأردن أو إلى أي مكان آخر.¹¹ وبحلول أواخر عام 2007 لم يتبقى سوى 35000 عامل من عمال القطاع الخاص في غزة البالغ عددهم 110000 عامل حيث تم فصل البقية.¹² وكان قرار إسرائيل في يناير 2008 بالسماح فقط لوكالات المعونة لإدخال السلع إلى غزة ضربة أخرى للقطاع الخاص.¹³

وقد كان التأثير التراكمي لهذه الإجراءات كبيراً حيث إرتفعت معدلات الفقر والبطالة بشكل رهيب¹⁴. كما إرتفعت أسعار

مسئول معونات دولي في مقابلة أجرتها معه مجموعة الأزمات الدولية، مدينة القدس، مارس 2008 "يصعب الحصول على تحليل ومعلومات دقيقة حيث أننا لا نثق بالبيانات منذ يونيو 2007."¹⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤولي المعونات في غزة، ديسمبر 2007.¹⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مدير جراج في مدينة غزة، مارس 2008.¹⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول في شركة الاتصالات الفلسطينية (بالتل)، أكتوبر 2007.¹⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤولين معونات وأطباء بمدينة غزة، فبراير 2008.¹⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفي بمدينة غزة، ديسمبر 2007.²⁰ تزعم إسرائيل بأنها إكتشفت 12 نفقاً في عام 2007، تم حفر أربعة منهم بإتجاه إسرائيل، "Palestinian Terrorism in 2007"، وزارة الخارجية الاسرائيلية، 9 يناير 2008.²¹ في 11 أكتوبر دمرت بلدوزرات إسرائيلية 100 دونم (10 فدادين) من أشجار الليمون وأربعة آبار مياه، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني في بيت حانون، أكتوبر 2007.²² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول أجنبي، القدس، نوفمبر 2007.²³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع خبير أمن فلسطيني في مدينة غزة، ديسمبر 2007، وبيانات قوات الدفاع الاسرائيلية. قامت قوات حماس بإخلاء مراكز الشرطة بشكل سريع، مما مكّنهم من الفرار سالمين نسبياً من الهجوم الإسرائيلي. وبالرغم من ذلك فقد فر أيضاً السجناء، بما فيهم مسلحون من كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح الذين كانوا مطلوبين من قبل إسرائيل. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو في كتائب شهداء الأقصى علي قائمة المطلوبين الأمنيين لإسرائيل، خان يونس، سبتمبر 2007. وبالرغم من ذلك فقد إنخفضت وتيرة العمليات العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة في عام 2007: إنخفض معدل الغارات الجوية التي تقوم بها الطائرات

⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول معونات في مدينة غزة، أكتوبر 2007.

⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول إسرائيلي في واشنطن، مارس 2008. قال رئيس الوزراء أولمرت في مقابلة أجرتها معه صحيفة جيزورليم بوست في عدد 21 يناير 2008: "أعتقد أن سكان غزة يستطيعوا المشي ولن يحصلوا على البنزين طالما لديهم نظام إرهابي لا يسمح لسكان جنوب إسرائيل العيش في سلام".

¹⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رجل أعمال، مدينة غزة، فبراير 2008. 12 كيلوجرام من الطماطم يباع بدولار، البقر يلتهم بطاطس معد للتصدير.

¹¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رجل أعمال، مدينة غزة، ديسمبر 2007. مصنع بسكويت يستغني عن 400 عامل من غزة ويفتح خط إنتاج جديد في الأردن.

¹² Gaza Special Focus, UN OCHA, December 2007

¹³ القطاع الخاص يمثل 89 في المائة من الشاحنات الداخلة إلى قطاع غزة في 2007، أنظر المرجع السابق.

¹⁴ تبلغ نسبة البطالة في غزة حوالي 33 في المائة مقارنة بـ 19 في المائة في الضفة الغربية، حسب تقرير البنك الدولي

Investing in Palestinian Economic Reform and Development

الصادر في 17 ديسمبر 2007. إنخفض عدد المصانع العاملة في غزة من 3900 مصنع في يونيو 2005 (قبل الإنسحاب الإسرائيلي) إلى 780 مصنع في يوليو 2007 وإلى 195 مصنع في ديسمبر 2007، أنظر المرجع السابق. يقول عالم الإقتصاد على أبو شهله في مقابلة أجرتها معه مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، ديسمبر 2007 أن نسبة الإعانة في غزة قد إرتفعت من 1:8 إلى 1:12 (نسبة المعيل إلى التابع) منذ إستيلاء حماس على القطاع في يونيو 2007، إلا أنه يجب التعامل مع أي أرقام واردة ما بعد هذا التاريخ بحذر حيث أصبحت البيانات لا يعتمد عليها بشكل كبير نتيجة لهذه العزلة. قال

الفلسطينية، هيئة التنظيم المالي للسلطة الفلسطينية، أمرت البنوك الفلسطينية بوقف أى تعامل مع سلطات حماس وأن تمنعهم من الوصول إلى حسابات السلطة الفلسطينية.³² كما قيل أن كبار مسؤولي السلطة الفلسطينية مارسوا الضغوط على الجهات المانحة، بما في ذلك البنك الدولي، لتأجيل مشاريع جديدة في غزة.³³ وبشكل عام، وجدت حماس في غزة جهازاً إدارياً خارج الخدمة ومنفصل عن جهاز السلطة الفلسطينية المتهاوي في الضفة الغربية.

و اكتفت الجهات الخارجية بالاحتجاج من وقت لآخر على الحصار المفروض على غزة.³⁴ فما أن وقعت غزة بين أيدي حركة حماس حتى تم تجميد الإتفاقيات التي تم التوصل لها بوساطات دولية والتي تنظم حركة المعابر.³⁵ وفي أعقاب إستيلاء حماس على غزة في يونيو 2007، قام المنسق الأمني الأمريكي الجنرال كيث دايتون بإيقاف العمل على ادخال تحسينات أمنية وتوسيع معبر كارني،³⁶ في حين قامت بعثة المراقبة الأوروبية في رفح، بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية (EUBAM)، بوقف العمليات المحدودة أصلاً في غزة وظلت في قاعدتها السكنية في أشكلون.³⁷

³² مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مصرفيين ومسؤولين ماليين، غزة ورام الله، نوفمبر- ديسمبر 2007 ويناير 2008. "إننا لا نستطيع الحصول على مبلغ خمسمائة ألف شيكل [130 ألف دولار] من رصيدنا الإلتزامي لأن البنوك قد جمدت حساباتنا البلدية. أنها ليست أموالى، بل هى أموال مواطنين غزة. كيف تتوقع منا رام الله أن نتعامل مع مياه الصرف الصحى بدون أموال؟ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عماد صيام، مدير عام بلدية مدينة غزة، مدينة غزة، ديسمبر 2007.
³³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول معونات غربى، القدس، سبتمبر 2007.

³⁴ قال ممثل الإتحاد الأوروبي لعملية السلام فى الشرق الأوسط مارك أوتى فى حوار لصحيفة هآرتس، 7 فبراير 2008: "لم تتجح تكتيكيات إسرائيل فى قطاع غزة. الحصار والعقوبات ضد الشعب فشلت حيث أنها عززت حماس وأضعفت [رئيس الوزراء سلام] فياض و[الرئيس محمود عباس] أبو مازن ... الآثار المترتبة على النشاط الإسرائيلي قد تكون أن تصبح غزة كالصومال". ومع ذلك وحتى بعد إنتقاد الإتحاد الأوروبي للعقوبات الإسرائيلية فقد إستمر فى مقاطعته لغزة.

³⁵ وفقاً للإتفاقية المعابر المبرمة فى 15 نوفمبر 2005 التى تنظم التجارة وحركة الركاب العابرين لحدود غزة، كان على الإتحاد الأوروبى أن "يضمن إتباع الإجراءات السليمة" فى معبر رفح وكان يجب على منسق الأمن الأمريكى أن "يقوم بإجراءات تنفيذية" لضمان عمل "الممرات بشكل مستمر" حيث ينص الإتفاق على مرور 400 شاحنة يومياً من غزة بحلول نهاية عام 2006.

³⁶ "كان منسق الأمن الأمريكى حتى يونيو 2007 يركز على غزة بشكل شبه حصري، ولكن الجنرال دايتون تخلى عن دورها فى المعابر. كانت تعليماته هى العمل على الضفة الغربية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول أمن غربى، القدس، أكتوبر 2007.

³⁷ أوقفت بعثة الإتحاد الأوروبى للمساعدة الحدودية (EUBAM) عملياتها فى 15 يونيو 2007 على أساس أن إتفاقها كان مع السلطة الفلسطينية، وليست سلطة الأمر الواقع فى غزة؛ حيث أن حماس على قائمة المنظمات الإرهابية، وأن كل الأطراف ليست على إستعداد لتنفيذ ما يخصها من الإتفاق. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول بعثة الإتحاد الأوروبى للمساعدة الحدودية، القدس، مارس 2008. إحتج بعض مسؤولي بعثة الإتحاد الأوروبى للمساعدة الحدودية على هذا التحرك. "كان علينا أن نبحث كل السبل لإعادة الإنتشار فى رفح، ولكننا لم نتخذ أى خطوات عملية. بعثة المساعدة الحدودية ضحية لسياسة الإتحاد الأوروبى القائمة على عدم المشاركة"، مقابلة أجرتها

لم تكن إسرائيل وحدها هي التي تسعى إلى عزل قطاع غزة، فالسلطة الفلسطينية القائمة فى الضفة الغربية شرعت أيضاً فى إتخاذ سلسلة من التدابير الرامية إلى عرقلة قدرة حركة حماس على الحكم فى غزة. حيث قامت بتعطيل دائرة النيابة العامة (مما أدى إلى شلل النظام القضائى)²⁴، وخفضت بشكل كبير رواتب المحافظين فى غزة والذين يعدون آخر رموز السلطة الرئاسية فى القطاع.²⁵ وتلقت وكالات فرض القانون التابعة للسلطة الفلسطينية بالإضافة إلى جهات أخرى أوامر بالتوقف عن العمل²⁶؛ وتلقى موظفي السلطة الفلسطينية الذين كانوا لا يزالون يعملون تهديداً بعدم الحصول على أجورهم فى حال تعاونهم مع وزراء حركة حماس. و تم بالفعل إعتبار جميع الموظفين بما فى ذلك الأطباء والمدرسين الذين لم يضربوا عن العمل والذين تم تعيينهم بعد تولى حماس الحكم فى مارس 2006 متعاونين مع حماس حيث أصبحوا معرضين للشطب من قوائم المرتبات.²⁷ وقامت حكومة فياض بدفع المرتبات بصورة منقطعة للموظفين "غير الأساسيين" مثل عمال نظافة المستشفيات وعمال البلديات، مما أثر على تقديم الخدمات.²⁸ كما سعت السلطة الفلسطينية الى حرمان حكومة حماس من الإيرادات حيث قامت بإلغاء الضرائب فى جميع أنحاء غزة؛²⁹ وأغلقت بعض أقسام إدارة الموارد المالية التابعة للسلطة الفلسطينية؛³⁰ وفي بعض الأحيان قامت بإيقاف إمدادات الوقود بعد أن سعت حماس إلى تحصيل ضريبة القيمة المضافة على مبيعات الوقود.³¹ ورغم أن المصارف كان مسموح لها بمواصلة عملها فى غزة، إلا أن سلطة النقد

الإسرائيلية بنسبة 70 فى المائة بالمقارنة بالعام الماضى كما إنخفض عدد المنازل المهدامة من 127 منزل فى عام 2006 إلى سبعة فقط فى 2007. UN Humanitarian Monitor Report، ديسمبر 2007.

²⁴ "إعترض النائب العام على وضع الجهاز القضائى فى غزة تحت إشراف حكومة حماس"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو مجلس نقابة المحامين فى مدينة غزة، سبتمبر 2007. (وهو ناشط منتسب لحزب رئيس الوزراء سلام فياض- حزب الطريق الثالث).

²⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محافظ غزة، سبتمبر 2007. يقول مسئول فى السلطة الفلسطينية برام الله أنه يتم إعطاء المحافظين أموالاً حتى يتوقفوا عن العمل. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مستشار رئاسى، رام الله، 26 نوفمبر 2007.

²⁶ يقول رئيس الشرطة المعين من قبل حماس: "بعد الهزيمة بيومين، أرسل مسئولو السلطة الفلسطينية أوامر لكل رجال الشرطة بأن يبقوا فى منازلهم. لقد أرادوا أن يقضوا على القانون المدنى والنظام وأن يخلقوا حرب أهلية. أرادوا أن يشجعوا السرقة والنهب والفضوى. توقعوا أننا سننهار بعد أسبوعين أو ثلاثة، لكننا نجحنا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس الشرطة توفيق جابر، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

²⁷ موظفي السلطة الفلسطينية الذين تم تعيينهم فى الأشهر القليلة قبل وصول حماس للحكم تمت إزالتهم من قوائم المرتبات. الجهات المانحة الأوروبية عبرت عن قلقها إزاء تزايد العمالة فى القطاع الخاص قبل إنتخابات يناير 2006.

²⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظفى الصحة ومسئولى السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، فبراير 2008.

²⁹ ألغت رام الله ضرائب الدخل للقطاع الخاص، وضريبة القيمة المضافة، ورسوم المحاكم، وخص السيارات، والنفقات الطبية.

³⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، أكتوبر 2007. سمحت حكومة فياض لبعض إدارات التمويل التى تعمل باستقلال عن سلطة حماس فى غزة أن تستمر فى العمل مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول مالى فى السلطة الفلسطينية، رام الله، مارس 2008.

³¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عالم اقتصاد، مدينة غزة، ديسمبر 2007. أنظر "Gaza Special Focus" op cit.

يتم إعادة إحياء الإقتصاد المدمر، إلا أن الجهود المبذولة قد أبقت السكان على قيد الحياة. فكما ذكرنا، إستمرت حكومة فياض في الضفة الغربية في دفع مرتبات معظم موظفين الحكومة، مما وضع نقود أكثر في أيدي سكان غزة ووفر نفقات التشغيل الأساسية لأنظمة الصحة والتعليم. كما قامت الجهات المانحة الدولية جنب إلى جنب مع وكالة الأمم المتحدة للاجئين الفلسطينيين (الأنروا) بضح كميات هائلة من الأموال لتحل محل المعونة الإنسانية التتموية، مما أدى إلى وضع معظم سكان غزة تحت وصاية المجتمع الدولي.⁴³

بالإضافة إلى ذلك فقد لجأ سكان غزة لبدائل محلية في وجه الحصار القائم فوق الأرض، حيث قاموا بحفر مائة من الأنفاق العابرة للحدود، مما أدى إلى تقوية الإقتصاد غير الرسمي. ومع الإنقطاع المكرر في إمدادات الوقود قام سكان غزة بنحويل السيارات لتعمل بزيوت الطهي والذي يتوافر بكثرة في غزة⁴⁴ وعادوا لإستخدام الحيوانات كوسيلة للمواصلات. وفي وجه الحظر الإسرائيلي، إبتكر مصنع وسيلة لإنتاج ثاني أكسيد الكربون للمشروبات الغازية. كما إبتكر مقاولون سبلاً لتجاوز القيود الإسرائيلية، حيث قام أحد التجار بشحن حمولة من الأسمت الأبيض المحظور على أنه دقيق. وأصبح إنقطاع التيار الكهربائي لمدة ثمانية ساعات في اليوم أمراً معتاداً عليه في غزة.⁴⁵ كما قررت السلطات تصريف 20 ألف لتر من النفايات يومياً في البحر المتوسط⁴⁶ عندما اضطرت إلى الإختيار بين إستخدام الوقود في محطات الصرف الصحي أو في مجال الخدمات الصحية.⁴⁷

ونظراً لإختلاف الجهات الفاعلة المشاركة في الحصار فقد اختلفت الأهداف المتوخاة منه، بدءاً من إضعاف حماس، إلى تشويه سمعتها أو إسقاطها أو للضغط عليها حتى تكف عن إطلاق الصواريخ. ويلخص المحلل السياسي نيتن براون هذا الوضع بقوله:

قامت اسرائيل والمجتمع الدولي بفرض عقوبات شديدة القسوة مما وضع معظم البيوت الفلسطينية تحت خط الفقر، وخلقت في نفس الوقت مجموعة من الآليات التي تحد من المعانة في غزة بحيث لا تصل لدرجة المجاعة. الأثر

⁴³ بحلول نهاية عام 2007، أصبح 80 في المائة من عائلات غزة يعتمد على المعونات، مقارنة بـ 63 في المائة في 2006، "Gaza Special Focus" op, cit. وكالة الامم المتحدة للاجئين الفلسطينيين توفر معونات الطعام لـ 182400 أسرة في غزة (حوالي 860 ألف فرد) مقارنة بـ 16174 أسرة في 1999. نقلاً عن "The Gaza Strip: A humanitarian explosion" الذي نشرته خمسة وكالات معونة بريطانية، 6 مارس 2008.

⁴⁴ يتكلف التحويل 250 دولار، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

⁴⁵ أنظر "Power Shortages in the Gaza Strip" OCHA، 8 يناير 2008.

⁴⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في هيئة المياه، مدينة غزة، فبراير 2008.

⁴⁷ لم يتفق الكل على القرار. قال مسئول في هيئة المياه، "ان اعطاء المستشفيات الأولوية غلطة، لأن انهيار نظام الصرف الصحي قد يؤدي إلى وباء في غزة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، فبراير 2008.

وتقادي الزائرون الدوليون، بما في ذلك مبعوث اللجنة الرباعية³⁸ توني بلير، تالوقوف في غزة لتجنب أي إتصال مع مسؤولي الحركة. كما صرح مسئول أوروبي أن الإتحاد الأوروبي سيكون آخر منظمة سياسية تتعامل مع حماس.³⁹

كما إتهمت حماس مصر بزيادة عزلة غزة، حيث قال أحد مسؤولي الحركة:

قامت مصر وإسرائيل بنحويل غزة إلى سجن، وفي السجن لا يتوافر إلا خمسة أشياء: الهواء، المياه، النور، الطعام، والدواء. وهذا هو كل ما تتيحه مصر وإسرائيل لنا، لا نستطيع أن نضع مصر وإسرائيل على قدم المساواة، إلا أن مصر لها نصيب في تحمل المسؤولية. فهي لا تفعل شيئاً على الإطلاق وهذا أمر مخزي.⁴⁰

وكان أعضاء اللجنة الرباعية في مقدمة الجهات المانحة الأجنبية الذين قاموا بتخفيض الدعم التتموي لغزة بشكل كبير. وبسبب نقص المواد الخام، خاصة الأسمت، قامت وكالات الأمم المتحدة بإلغاء مشاريع مساعدات أجنبية قيمتها 230 مليون دولار، بما في ذلك برنامج تابع للأمم المتحدة يبلغ قيمته 93 مليون دولار يعمل به 18 ألف عامل لبناء ثلاثة آلاف وخمسمائة منزل.⁴¹ تم إلغاء الكثير - وليس كل - من الإتصالات الفنية والبرامج المانحة.⁴²

إن غزة تتعرض لضغط يصل بها الى درجة الإنهيار - ولكن دون الوصول لهذه النقطة. ففي الوقت الذي تقوم فيه الأطراف الخارجية الفاعلة بزيادة الضغوط فقد حرصوا على منع التداعيات الأكثر تدميراً بما في ذلك المجاعات والأوبئة. فبينما لم

مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية، القدس، نوفمبر 2007. كانت إسرائيل قد منعت البعثة التي يقع مقرها في عسقلان أكثر من مرة من الوصول إلى رفح قبل الإستيلاء على غزة، وفعلت ذلك أيضاً حتى بعد الإستيلاء على القطاع. في الإثني عشر شهراً التي سبقت إستيلاء حماس على القطاع كان المعبر مغلق بنسبة 78 في المائة من الوقت، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية، القدس، مارس 2008.

³⁸ اللجنة الرباعية، مجموعة غير رسمية تسعى لتنسيق الجهود الدولية لتشجيع تسوية اسرائيلية-فلسطينية، تتكون من الولايات المتحدة الأمريكية، الإتحاد الأوروبي، روسيا، الأمم المتحدة، ويمثلها السكرتير العام.

³⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول أوروبي، بروكسل، ديسمبر 2007.

⁴⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول حماس في المنفى، نوفمبر 2007.

⁴¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في الأمم المتحدة، غزة، أكتوبر 2007؛ ووكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشئون الإنسانية جون هولمز، كما نقلت عنه شبكة الأنباء الإنسانية (IRIN)، 19 فبراير 2008.

⁴² أصبح نصيب غزة من برنامج المعونة الفلسطيني الخاص بالوكالة الأمريكية للتنمية الدولية والذي بلغ 40 في المائة في الأول من يونيو 2007 حوالي 10 في المائة وذلك لتجنب أي إتصال مع حماس لوجودها على القائمة الأمريكية للمنظمات الإرهابية، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول معونات غربي، يناير 2008. "المشاريع الممولة بواسطة الوكالة الأمريكية لا تستطيع أن تتعامل مع البلديات، بما في ذلك مدينة غزة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول معونات دولي، تل أبيب، ديسمبر 2007. إلا أن بعض الأوروبيين استمروا في الحفاظ على برامج المعونة الخاصة بهم، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع دبلوماسي أوروبي، القدس، ديسمبر 2007.

قامت مصر بتعزيز جبهتها بأبراج المراقبة ومئات الحاويات المملوءة والمغطاة بأكياس الرمل. منذ ذلك الحين بدأت مصر في بناء جدار أكثر صلابة لإثناء كل من يفكر في إختراقه في المستقبل.⁵² في الوقت نفسه، إنلقى مسئولين مصريين بقيادة حماس في القاهرة ثم في العريش لضمان تعاونهم في إعادة السيطرة على الحدود.

كما كان رد فعل إسرائيل أنها قامت بالغاء تصريحات خروج لتجار ورجال أعمال وموظفي المنظمات غير الحكومية بغزة وأصبحت عملية إستخراج تصريحات جديدة تستغرق وقتاً أكثر مع إحتمال حدوث تداعيات خطيرة لعدم حصول مرضى غزة على العناية الضرورية.⁵³ كما قامت إسرائيل بتقليل إمدادات غزة من الوقود والكهرباء بعد صدور قرار المحكمة العليا يوم 27 يناير 2008 بالموافقة على ذلك. بإختصار، بعد فترة قصيرة من حرية الدخول والحركة تم عزل غزة مرة أخرى ووضعها تحت الحصار.⁵⁴

بعد أسابيع قليلة انفجرت جبهة ثانية في صورة مواجهة شرسة بين حماس وإسرائيل. فمع إحكام إغلاق الحدود الجنوبية مرة أخرى، إتجهت حماس ناحية إسرائيل، حيث إستمرت في إطلاق الصواريخ على سدروت. ثم قامت مروحية إسرائيلية في 27 فبراير بإطلاق النار على قاعدة لحماس بالقرب من خان يونس مما أدى إلى مقتل خمسة مقاتلين -ثلاثة منهم تدعى إسرائيل أنهم قادة لفرق صاروخية.⁵⁵ ردت حماس بأكثر من 50 صاروخ، مما أدى إلى مقتل طالب إسرائيلي بسدروت. وفي اليوم التالي قامت كتيبة إسرائيلية بالتقدم إلى المناطق المدنية في شمال مدينة غزة، حيث شنت طائرات الـ F-16 والأباتشي هجوم جوى فيما تعد أكبر عملية منذ يوليو 2006. إشتد إطلاق الصواريخ مرة أخرى من غزة، مما عرض كلاً من سدروت والمناطق المجاورة لها المأهولة بالسكان وأشكلون - ميناء يبلغ عدد سكانه 105 ألف شخص - إلى إطلاق نار مستمر. في الأيام الخمس المتتالية، قتل

المتراكم لهذه الأفعال كان تحويل منطقة مكدسة بالسكان وفقيرة إلى مشروع رعاية ممول دولياً. والنتيجة أننا بالكاد نستطيع أن نصفها كنوع من الضغط النضبط، لكن من الأفضل أن نصفها على أنها محاولة لتدمير إقتصاد يضم مليون ونصف مليون شخص مقترنة بجهود دولية لتخفيف الآثار الأكثر حدة لإنهيار إقتصادى مدروس.⁴⁸

ب. معركة حماس على الجبهتين

بعد أن وجدت حماس نفسها في موقف يزداد صعوبة يوماً بعد يوم جاء رد فعل الحركة على جبهتين منفصلتين -جنوباً بإتجاه مصر وشمالاً بإتجاه إسرائيل. ففي 23 يناير قام سكان غزة وفي مقدمتهم حركة حماس بكسر جدار رفح الذى يفصلهم عن مصر. ولمدة 11 يوم قام مئات الآلاف من الفلسطينيين بالتسوق في العريش وهي بلدة مصرية صغيرة جعلها الحصار على غزة تبدو وكأنها في منتهى الرفاهية. وقد كان ذلك مؤشراً على مدى تردى الأوضاع في غزة. قالت حماس أن الإختراق كان ببساطة "النتيجة الطبيعية لتدفق الناس"،⁴⁹ وأن الإختيار وقع على رفح لأنه "الجدار الوحيد" الذى يؤدي إختراقه إلى إستيفاء الإحتياجات الإنسانية.⁵⁰

لم يدم التحرر النفسى طويلاً، فبعد 12 يوم أعادت مصر إغلاق الجدار. قامت تعزيزات أمنية مصرية بإغلاق معابر قناة السويس لمنع الفلسطينيين من الوصول إلى محافظات الدلتا. قامت نقاط التفتيش المنتشرة في سيناء بالإستمرار في إحتواء التدفق البشرى. بعد ذلك قامت مصر بإغلاق مدينة العريش، عاصمة محافظة شمال سيناء، لمنع وصول إمدادات جديدة عن طريق منع الشاحنات من دخول سيناء لإعادة ملئ المخازن مما أدى إلى تقليل الحافز لدى سكان غزة للسفر هناك. وأخيراً فإن الحدود التى تم إختراقها بالقوة تم إستعادتها بالقوة أيضاً. وحذر وزير خارجية مصر أحمد أبو الغيط أنه سيتم "كسر رجل" أى مخالفون بعد ذلك.⁵¹ بشكل عام، وإصراراً منها على منع تكرار هذه الحادثة،

في العريش ورفع والإعتداء عليهن لأنهن رفضن السماح لهم بالنوم في منزلهن سلوك اسلامي سليم أستطيع أن أتعاطف معه؟"

Memri Newsletter، 6 فبراير 2008. اشتركت الأردن في الحملة الإعلامية، حيث زعمت أن حماس سرقت شاحنات المعونة المرخص لها من قبل الملك عبد الله، بترا (وكالة الأنباء الأردنية)، 8 فبراير 2008. وردا على ذلك، قال برلماني من حركة حماس: "التبرير الاغلاق، كان على مصر أن تثن حملة ضدنا، ليس بوصفنا جياح، ولكن بوصفنا تهديداً لأمنها القومي. مصر الآن قلقة على أمنها على حدودها أكثر من قلقها من إسرائيل. ولكن الحملة لم تتج. وكان عليها العودة الى الحوار مع حركة حماس. ولم تكن تستطيع أن تغلق الحدود دون مساعدتنا"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو المجلس التشريعي الفلسطيني صلاح بردويل، مدينة غزة، فبراير 2008.

⁵² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤولى الأمن المصرى، القاهرة، 1 مارس 2008.

⁵³ الإجراءات البطيئة في وزارة الصحة في رام الله زادت من التأخير، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول فى الأمم المتحدة، القدس، مارس 2008.

⁵⁴ قال مسئولو حماس أن المخزون الجديد كان سيسد الفجوة لمدة أيام وليست أسابيع، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع وزير الإقتصاد الوطنى في حكومة حماس زياد ظاظا، مدينة غزة، فبراير 2008.

⁵⁵ يديعوت أرونوت 27 فبراير 2008.

⁴⁸ نينيث براون،

"The Road Out of Gaza"، Carnegie Policy Outlook،

مارس 2008.

⁴⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع سعيد صيام، مدينة غزة،

فبراير 2008.

⁵⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع وزير الإقتصاد الوطنى فى حكومة حماس زياد ظاظا، مدينة غزة، فبراير 2008.

⁵¹ وكالة الأنباء الفرنسية، 7 فبراير 2008. اعتبرت مصر العمل انه تهديد محتمل للأمن القومي. وكان المسلحون الفلسطينيون قد تبادلوا اطلاق النار عبر الحدود مع القوات المصرية في مرات عديدة مما أدى إلى اصابة العشرات من أفراد الأمن أثناء تأديتهم الخدمة، وتقيد تقارير بأن صواريخ القسام التي اطلقها من غزة سقطت في مصر، وكالة الأنباء الفرنسية، 17 فبراير 2008. شنت الحكومة حملة اعلامية صورت فيها مصر على انها تدعو سكان غزة للتسوق والتخفيف من وطأة الضغوط الناجمة عن الحصار، كما صورت الفلسطينيين على أنهم ضيوف ناكرين للجميل وفوضيين. نقل التلفزيون المصرى عن الجنرال المصرى حسام سويلم قوله: "سمحنا لهم بالدخول، لكنهم انتهكوا حرمة مصر، ودخلوا بلدنا بالجرافات، وبعد ذلك شاهدنا رجالاً يرتدون أقتعة من كتائب شهداء عز الدين القسام ... هؤلاء هم أعضاء حركة حماس وليسوا من الشعب الفلسطينى. هل إقتحام منازل النساء

II. شكل النظام الجديد

بالنسبة لقادة حماس في غزة، فإن الوجه الآخر من العزلة كان بمثابة حرية مطلقة في حكم هذه القطعة من الأرض التي تبلغ مساحتها 365 كم مربع. ومن خلال مقاطعة أجهزة الأمن والقضاء والقطاعات الحكومية الأخرى، حولت السلطة الفلسطينية ما أرادت أن يكون إجراءً عقابياً إلى هدية غير مقصودة، حين خلقت فراغ قامت حماس بملئه⁵⁷. ومن المحاكم إلى البلديات إستطاع الإسلاميون أن يثبتوا قدرتهم على فرض السيطرة على المؤسسات التي منعت السلطة الفلسطينية عنها التمويل. ومن جانب آخر، فإن حصار إسرائيل أدى إلى تآكل قدرة سكان غزة على التأقلم بصورة تدريجية، مما جعلهم أكثر اعتماداً على السلطة الجديدة. وكما كان متوقفاً فإن العقوبات والعزلة التي كانت تستهدف الحكام أدت إلى إستهداف المحكومين وشدت من قبضة حماس على غزة.

أ. ضبط الأمن

في البداية سعت حماس لإرساء سيطرتها على إستخدام القوة في أراضي كانت حتى لحظة إستيلائها على غزة تدار بواسطة مجموعة من العشائر والميليشيات المتنافسة. بعد أيام من صدور الأوامر من رام الله لجميع قوات أمن السلطة الفلسطينية بالتوقف عن العمل قام جناح حماس المسلح المتمثل في كتائب شهداء عزالدين القسام والقوة التنفيذية التي شكلتها حماس بإستغلال الفرصة. قال أحد مسؤولي حماس: "يجب أن نملاً وظائف الحكومة لأن فتح غير موجودة"⁵⁸. وكانت مهمتهم هي الدفاع عن مكاسب حماس على الأرض ضد الأعداء الداخليين والخارجيين.

1. الأمن الخارجي

حول الإستيلاء غزة كتائب القسام من منظمة عصابات سرية إلى قوة عسكرية تلبس زياً موحداً تهدف إلى حماية غزة من أي عدوان خارجي وتكوين قوة مهيمنة على المجموعات المسلحة الأخرى.⁵⁹ تحول جناح حماس العسكري إلى ما يشبه الجيش بعدما تم تعزيزه بترسانة الأسلحة التي تم الإستيلاء عليها من القواعد الأمنية للسلطة الفلسطينية. قال أحد مجندين كتائب القسام: "في الماضي كنا نعيش تحت الأرض. لم تكن نستطيع الخروج من المنزل خوفاً من حركة فتح وإسرائيل. الآن يمكننا الذهاب أينما نريد من بيت حانون إلى رفح. نحن أحرار ومسيطرين"⁶⁰.

⁵⁷ "العداوة أعمت فتح، ولكن عندما تفتح عينيها، ستدرك ان المقاطعة كلفتها السلطة. كان معظم آلاف موظفي القطاع العام في السلطة الفلسطينية الذين تم ازالتهم من جدول أسماء العاملين ومرتباتهم أعضاء في فتح"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع صحفي فلسطيني، الخليل، أكتوبر 2007.

⁵⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسؤولي حماس، رفح، أكتوبر 2007.

⁵⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسؤولي حماس، غزة، سبتمبر 2007.

⁶⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

أكثر من 100 شخص من سكان غزة نصفهم من المدنيين⁵⁶ وثلاثة إسرائيليين، من بينهم مدني واحد.

يبدو أن مصير غزة معلق بين ديناميكيتين متنافستين، فمن جهة هناك جهود واضحة (رغم كونها مبدئية) تهدف إلى الوصول إلى إتفاق غير رسمي بوقف العدوان ولكن هذه المرة بموافقة ضمنية أمريكية وبمشاركة مصرية قوية ومن جهة أخرى، هناك تخطيط أكثر جدية لهجوم إسرائيلي جديد وواسع يهدف هذه المرة إلى تدمير أدوات ورموز حكم حماس في غزة.

⁵⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في الامم المتحدة، مدينة غزة، مارس 2008. وصف رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، الجنرال جابي أشكينازي، ورئيس الاستخبارات العسكرية، اللواء عاموس يدان، 90 في المائة من قتلى قطاع غزة بـ"الإرهابيين"، The New York Times، 4 مارس 2008. زعم مراقب حقوق إنسان إسرائيلي أن من ضمن 106 قتيل فلسطيني هناك 54 فلسطيني بينهم 25 قاصر "لم يشاركوا في القتال"، بيان صحفي، بتسيلم، 3 مارس 2008.

شهر فبراير 2008 ، عندما شنت حماس هجوماً على أشكلون - وهي بذلك تخطت ما يعتبره كثير من الإسرائيليين خطأ أحمرًا خطيراً.⁶⁶ قال مسئول إسرائيلي: "صواريخ غراد هذه خطيرة للغاية ، ولكن قد يأتي ما هو أسوأ منها في المستقبل".⁶⁷

وفي سياق متصل ، طورت حماس من الأتفاق التي تستخدم في تهريب الأسلحة من مصر⁶⁸ حتى يتم استخدامها في حالة هجوم إسرائيلي قد يدفع المقاتلين الإسلاميين للإختباء مجدداً. وصف جنرال إسرائيلي هذا التطور: "تم حفر الأتفاق الأولى بعد فترة وجيزة من إنسحاب إسرائيل من سيناء ، وكانت تستخدم في تهريب الجبن الذي يباع بثمن أرخص في مصر. وأثناء الإنتفاضة الثانية ، بدأ استخدام هذه الأتفاق في تهريب الأسلحة. وبحلول عام 2005 كان المهربون يدخلون القنابل الصاروخية الدفع (RPGs)".⁶⁹ أشرفت حماس على بناء المنازل في قطاع غزة بالقرب من الحدود مع إسرائيل كوسيلة لتحسين مراقبة الحدود وتوفير غطاء للقناصة.⁷⁰ كما أسست حماس ما يشبه قوات البحرية ومقرها في خان يونس ، وكانت إسرائيل تخشى أن هذه القوات تعد نفسها للهجوم على القوات البحرية التي تفرض الحصار البحري بالإضافة إلى مراقبة تهريب الأسلحة عن طريق البحر.⁷¹

تحول حماس العسكري حصل على إحترام إسرائيلي متذمر، حيث يصف الجنود العائدين من الجبهة أنهم قاموا بمقاتلة جيش أكثر إنضباطاً وفعالية ومزود بمناظير للرؤية الليلية.⁷² وقال

في البداية قامت قوات حماس المسلحة بتركيز عملياتها العسكرية إما على مواجهة التوغلات الإسرائيلية في غزة أو الوجود الإسرائيلي عند المعابر.⁶¹ وفي حين واصلت جماعات مسلحه أخرى إطلاق الصواريخ بشكل عشوائي مع عدم قيام حماس بأي شيء يذكر لوقفها، فإن الحركة قامت بتقليص استخدام صواريخها ولجأت بدلاً من ذلك إلى استخدام الهاون ، وهو سلاح قصير المدى يتمتع بدقة عالية في التصويب.⁶² كما يعترف مسؤولون إسرائيليون أنه بالرغم من أن حماس كانت تستهدف أهدافاً عسكرية وليست مدنية إلا أن ذلك لا يمكن أن ينطبق على مجموعات أخرى وفرت لها حركة حماس الغطاء اللازم.⁶³ لقد إنتهى ضبط النفس في يناير 2008 عندما قامت إسرائيل بشن هجوم "بهدف إبعاد المنظمات الإرهابية عن السياج الأمني ولمنع كتائب القسام من إطلاق الصواريخ وقنابل الهاون داخل إسرائيل"⁶⁴ حيث أدى هذا الهجوم إلى مقتل ما لا يقل عن ثمانية عشر مقاتلاً من مقاتلي حماس ، من ضمنهم نجل محمود الزهار القيادي في حماس.

وحرصاً منها على تعزيز موقفها في مواجهة إسرائيل وغيرها من الفصائل في القطاع، قامت حماس بزيادة ترسانتها العسكرية ، حيث طورت إنتاج الصواريخ وكشفت عن جيل جديد من صواريخ القسام تستطيع أن تضع مائتين وخمسين ألف إسرائيلي في حدود نطاقها.⁶⁵ تم استخدام هذه الصواريخ الفتاكة في نهاية

أوروبى، القدس، ديسمبر 2007. بعد ذلك بشهر، تجاوز صاروخ من عيار 122 مم عسقلان قطعاً مسافة قدرها 18 كيلومتراً، اذاعة إسرائيل، 3 يناير 2008. "الثنين وعشرين كيلومتراً ليس الحد الأقصى"، نقل عن المتحدث باسم لجان المقاومة الشعبية أبو مجاهد في جبروسالم بوست، 1 ديسمبر 2007. لجان المقاومة الشعبية هي ميليشيا مركبة في غزة، تأسست خلال الإنتفاضة الثانية.
⁶⁶ "قبل 2006 نادراً ما وصل عدد الهجمات الصاروخية الفلسطينية إلى 50 هجمة في الشهر. بحلول أوائل 2008، أظهر التنظيم الفلسطيني قدرة على اطلاق 50 صاروخ في اليوم"، دور جولد، "Israel's War to Halt Palestinian Rocket Attacks"، مركز القدس للشؤون العامة، 3 مارس 2008.
⁶⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول إسرائيلي، واشنطن، مارس 2008.

⁶⁸ تضمنت الواردات متفجرات من سيناء المليئة بالالغام الأرضية القديمة، فضلاً عن مدفعية مضادة للدبابات وللطائرات، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أفراد أسرة أبو طه وعاشور، رفح، مايو وسبتمبر 2007.
⁶⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد كبار الجنرالات الإسرائيليين، القدس، نوفمبر 2007. زعم جنرال إسرائيلي آخر أن 12 ألف بندقية وثلاثة ملايين طلقة ذخيرة و190 طن من المتفجرات و1800 صاروخ مضاد للطائرات دخلوا غزة عن طريق الأتفاق في 2006.

⁷⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مقاتلي كتائب القسام، مدينة غزة، نوفمبر 2007. في يونيو 2006، حفر مقاتلين موالين لحركة حماس نفق يبلغ طوله 1 كيلومتر خلف الخطوط الإسرائيلية، وقاموا بهجمة تكنة عسكرية إسرائيلية من الخلف، وأسروا العريف الإسرائيلي جلعاد شاليط، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني مطلع، رفح، نوفمبر 2007.
⁷¹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع خبير أمنى إسرائيلي ومراقب فلسطيني، القدس ورفح، مارس 2008.

⁷² "في كل الجوانب - التدريب، جودة المعدات، والانضباط- نحن أمام جيش وليس عصابات"، نقل أموس هاريل عن أحد جنود المظلات، وليس عصابات، "IDF reservists: Hamas men fight like soldiers"، هآرتس،

⁶¹ برر مسئولون من حماس وغيرها من الجماعات المسلحة الهجمات على نقاط العبور على أساس انها كانت أيضاً بمثابة نقاط دخول القوات الإسرائيلية في توغلاتها داخل غزة. كما احتج بعض مسئولين حماس بان مصر - وليس إسرائيل - هي نقطة العبور المفضلة لديهم. "دائماً ما تدعو حماس إسرائيل لفتح المعابر وعندما تكون مفتوحة تطلق عليهم النار"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب محلي، مدينة غزة، مارس 2008. ويقول البعض أيضاً بأنه تم قصف المعابر الإسرائيلية حتى تبقى مغلقة، وبالتالي ضمان أهمية الأتفاق مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، عالم إقتصاد، مدينة غزة، ديسمبر 2007. بعد أن فتحت إسرائيل معبر البضائع كبير شالوم بالقرب من رفح، إشتد القصف حتى ناشد التجار حكومة حماس بأن توقف اطلاق النار، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد التجار، خان يونس، سبتمبر 2007.

⁶² زعم متحدث باسم القسام أنه "المدة سبعة اشهر [بعد الاستيلاء] توقفنا عن اطلاق الصواريخ على الاحتلال. ولكن بعد مذبحه الزيتون [توغل إسرائيلي في يناير 2008 في مدينة غزة قتل فيه بعض مقاتلين من حركة حماس]، كان يجب على الحركة أن ترد"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، غزة، مارس 2008. كما قال خبراء الأمن الإسرائيلي ان حركة حماس قد قامت بتقليل هجماتها إلى حد ما لأنها تريد ضمان استمرار الإمدادات، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، خبير أمنى، تل أبيب، أكتوبر 2007. يبلغ مدى قنابل الهاون من 1-2 كم. ارتفع عدد القنابل التي تم إطلاقها من غزة من 55 قنبلة في عام 2006 إلى 1511 قنبلة في عام 2007، تقرير وزارة الخارجية الإسرائيلية، 9 يناير 2008.

⁶³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مسؤولي في الدفاع الإسرائيلي، تل أبيب، ديسمبر 2007.
⁶⁴ اعلان متحدث باسم قوات الدفاع الإسرائيلية، 15 يناير 2008؛ وروينتز، 15 يناير 2008. بعد ساعات من الهجوم، كانت حركات حماس والجماعات المسلحة قد اطلقوا أكثر من 40 صاروخ، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب مطلع، مدينة غزة، يناير 2008.

⁶⁵ وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي أفي ديختر، يديعوت أحرونوت، 9 ديسمبر 2007. في اواخر نوفمبر، سقط صاروخ محمل بكرات الرصاص على شرق مركز مدينة عسقلان، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول أمن

كما سعت إلى إحتكار التجارة عن طريق الأنفاق المشتركة مع مصر في محاولة منها للسيطرة على إمدادات الأسلحة في قطاع غزة. وفي بعض الاحيان قامت حماس بإستخدام القوة لإفشال الجهود الرامية إلى زرع متفجرات أو إطلاق صواريخ. وفي منتصف شهر سبتمبر 2007 إشتبكت حماس مع عناصر الجهاد الإسلامي،⁷⁸ مما أدى وفقاً للتقارير إلى توقيع إتفاق الخامس من نوفمبر يلزم الجهاد الإسلامي بـ "وقف الهجمات الصاروخية على إسرائيل" في حالة التوصل إلى وقف لإطلاق النار.⁷⁹ وفي إنتظار مثل هذا الإتفاق عزفت حماس عن كبح إطلاق الصواريخ أو صناعة صواريخ القسام المنزلية التي يقوم عليها إطلاق هذه الصواريخ.⁸⁰

وفي شهر ديسمبر 2007، أوضح قادة حماس في غزة أنهم على إستعداد قبول وفرض وقف لإطلاق النار يتكون من العناصر الثلاثة التالية: إنهاء جميع الهجمات الصاروخية وغيرها من غزة، وإنهاء جميع الهجمات العسكرية الإسرائيلية في غزة، وفتح المعابر.⁸¹ وللسبب نفسه، شدد قادة حماس أنهم لا يستطيعون إقناع أو إجبار جماعات أخرى بالإلتزام بوقف إطلاق النار بدون وقف متبادل لإطلاق النار.

نحن بحاجة إلى رأس مال سياسي، شيء ننتفع به الجماعات المسلحة الأخرى. إننا لا نستطيع ان نقول لهم ببساطة أن يوقفوا إطلاق الصواريخ. إذا حصلنا على وقف لإطلاق النار، وإذا إستطعنا أن نقول للجماعات الأخرى أن الإعتداءات الإسرائيلية وأن الحصار الإسرائيلي سوف يتوقف سنفعل ذلك وسنكون أكثر فعالية من حركة فتح في أي وقت مضى، ولكننا لا نستطيع تنفيذ وقف إطلاق النار من جانب واحد.⁸²

وبالرغم من أن حماس تستطيع أن تقول أنها نجحت أكثر من الحكومات السابقة في إقامة سلطة مركزية داخل غزة، فإن صدق إدعائها أنها قادرة على كبح جماح الجماعات المسلحة التي تقاوم إسرائيل لا يزال على المحك. لا يزال تكوين "جبهة مقاومة متحدة"⁸³ بعيد المنال، حيث لم تلتزم الجماعات المسلحة

مراقب عسكري غربي أثناء زيارته لغزة: "تقوم حماس ببناء منظمة عسكرية فلسطينية في غزة غير مسبوقه في الأراضي المحتلة من حيث الحجم والتدريب والتسليح، وأحوال القادة وكفاءة القتال".⁷³

ونظراً لأيديولوجيتها ونظرتها للعالم فضلاً عن تاريخها في تحدي الجهود التي تبذلها السلطة الفلسطينية لوقف الهجمات ضد إسرائيل، واجهت حماس معضلة في تحقيق أهدافها الفرعية المتمثلة في فرض السيطرة الشاملة على العديد من الجماعات المسلحة في غزة والتي تعرف بمعارضتها الشديدة لخطط نزع سلاح الميليشيات. إن الإستقلال العملي لهذه المنظمات كان بمثابة التحدي الذي واجهه تعهد حماس الجديد بإحتكار إستخدام القوة. وبشكل غير مقصود ردد أحد قادة كتائب القسام عبارة كانت حكومة فياض وقادة فتح هم الذين يستخدمونها ضد حركة حماس، حيث قال أسفاً: "أحد التحديات الرئيسية التي نواجهها هي عدم خضوع الفصائل للقانون. مقاومة الإحتلال هي الذريعة التي يستخدمها الكثير من مقاتلي الفصائل للإحتفاظ بأسلحتهم".⁷⁴ وبالإضافة إلى ذلك، أعرب مسئولون في حركة حماس عن قلقهم إزاء أي عمل شبه عسكري غير منسق يمكن أن يؤثر على إحتفاظها بالسلطة عن طريق التسبب في هجوم إسرائيلي إنتقامي وتقويض ثقة إسرائيل في قدرة حماس على فرض وقف إطلاق النار محتمل. يقول أحد مسؤولي حماس:

أحد الجماعات تريد ان تطلق صواريخ رداً على حادثة الضفة الغربية، وأخرى رداً على هجوم مختلف. تقول جماعة أنها تحترم التهذنة في حين تعتبرها جماعة أخرى خيانة. هذا يؤدي إلى الفوضى، وهي ليست مشكلة سياسية فقط بل مشكلة في المقاومة. علينا أن ننظم المقاومة. الفلسطينيون يمثلون 80 في المائة من المشكلة.⁷⁵

وبناء على ذلك، سعت حركة حماس لإخضاع "المقاومة" لقيادة مشتركة. تدخلت قوات حماس عندما قامت جماعات مسلحة بإجراء تدريبات دون إذن.⁷⁶ كما إستدعى قادتها مراراً وتكراراً قادة جماعات أخرى للبحث في تشكيل غرفة عمليات مشتركة بين الفصائل وإحترام الفصائل لوقف إطلاق نار محتمل بين حركة حماس وإسرائيل وذلك ضمن قضايا أخرى. ليس ذلك فحسب فقد قامت حماس أيضاً بمصادرة أسلحة جماعات تابعة لحركة فتح وأسلحة فصائل أخرى عندما إستخدمت هذه الفصائل السلاح على الصعيد الداخلي.⁷⁷

8 نوفمبر 2007.

⁷³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، القدس، نوفمبر 2007.

⁷⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، غزة، سبتمبر 2007.

⁷⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسؤولي حماس، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

⁷⁶ في مارس 2008 سعت قوات حماس للحد من عملية تدريب للجهاد الإسلامي غير مصرح بها، مما أثار اشتباكات طفيفة، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب محلي، رفح، مارس 2008.

⁷⁷ "كل من يستخدم سلاحاً علناً سيتم مصادره، باستثناء منظمات المقاومة. وهم أيضاً سيفقدون أسلحتهم إذا لم تستخدم في المقاومة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، المدعي العام العسكري امين نوفل، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

⁷⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع ناشطي الجهاد الإسلامي ومراقبي الأمم المتحدة، مدينة غزة، سبتمبر 2007.

⁷⁹ "نحن مستعدون لوقف إطلاق الصواريخ من أجل المصلحة الوطنية العامة كجزء من اتفاق شامل يضم جميع الفصائل عندما توقف إسرائيل اعتدائها ضد الفلسطينيين"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم الجهاد الإسلامي، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

⁸⁰ "إن الفصائل تصنع الصواريخ بنفسها. ونحن نطلب منهم أن يكفوا عن هذا"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع قائد في كتائب القسام، غزة، سبتمبر 2007. "لم يكن هناك أي عمليات بوليسية ضد الورش ومرافق التخزين، رغم أن حماس تعرف الكثير عن أماكن هذه المرافق والجماعات"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، محلل إسرائيلي، القدس، نوفمبر 2007.

⁸¹ في ذلك الوقت، أوضحوا أن وقف إطلاق النار ليس من الضروري أن يطبق في الضفة الغربية أيضاً، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع قادة حماس، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

⁸² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد كبار قادة حماس، غزة، ديسمبر 2007.

⁸³ تم استخدام المصطلح من قبل المقاتلين عقب مباحثات مع حماس بخصوص اقتراحات لوقف إطلاق النار، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، متحدث باسم لجان المقاومة الشعبية، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

الداخلي القبض على بعض أعضاء كتائب القسام عندما تدخلوا في الشؤون الداخلية.⁸⁸

إلا أن مثل هذه الإدعاءات يختلف عليها فتح والسلطة الفلسطينية، بل وحتى بعض عناصر الحركة، وليس هناك شك في أن حركة حماس تسيطر على الأمن على الرغم من الإنتماء الواضح لبعض المسؤولين لمنظمات أخرى؛ فأفرادها يمثلون الأغلبية في المجلس الأعلى للأمن المشكل حديثاً وهم مسئولون أمام وزير الداخلية بالإجابة سعيد صيام.⁸⁹ ويؤكد المراقبون أنه نظراً لعملية الدمج بين القوة التنفيذية وقوات الشرطة، فإن الشرطة وعناصر كتائب القسام يتبادلون الأدوار في كثير من الأحيان.⁹⁰

أحرزت القوة الجديدة نجاحات مبكرة في استعادة النظام. حرص السائقون على إتباع تعليمات شرطة المرور؛ وأوقفت الميليشيات إطلاق النار، وسعى الأقرباء إلى تقليل العداء بين العشائر؛ وهو ما كان يعد آفة الإدارات السابقة.⁹¹ وتمشيا مع خطة وضعها هاني القواسمة، وزير الداخلية في حكومة الوحدة الوطنية قصيرة الأجل، منعت قوات الأمن إستعراض إطلاق النار خاصة في الأعراس وحظرت إرتداء الأفعنة وفككت نقاط التفتيش التي

بالوصول على إذن مسبق من حماس قبل شن عملياتها. وصف بعض قادة الجماعات المسلحة لا سيما تلك الجماعات المؤيدة لحركة فتح جهود حماس الرامية إلى فرض سيطرتها على الجماعات المسلحة بأنها "خيانة": "حماس فازت في الإنتخابات من خلال رفع مجموعة من الشعارات - 'المفاوضات حرام'؛ 'المقاومة حق مقدس'؛ 'الدم الفلسطيني خط أحمر لا يمكن تخطيه' - وبعد ذلك خانت هذه الشعارات".⁸⁴

2. الأمن الداخلي

اغتمت حماس فرصة إستقرارها بالحكم في إدخال تغيير على قوى الأمن الداخلي، حيث قامت بإستبدال حوالي خمسون ألف عنصر أممي بقوة أكثر إنضباطاً يبلغ عددها ربع هذا الحجم. وبعد حوالي ثلاثة أشهر من الهزيمة التي لحقت بفتح، كانت حماس قد أعادت تنظيم قوتها التنفيذية - القوة التي تم إنشائها بعد فوزها بإنتخابات 2006 - وقسمتها إلى ثلاثة فروع رئيسية لإدارة الأمن الداخلي في غزة وهم: ⁸⁵ الشرطة المدنية؛ قوى الأمن الداخلي (جهاز أمن سياسي على غرار جهاز الأمن الوقائي السابق)⁸⁶؛ وقوات الأمن الوطني أوحرس الحدود التي تطلق عليها حماس إسم الجيش.⁸⁷ يؤكد مسئولو حماس أن جميع القوات الثلاثة مستقلة عن كتائب القسام وأنهم قوات محترفة غير حزبية. وقد تم دمج قوات السلطة الفلسطينية التي عادت للعمل على الرغم من الأوامر الصادرة من رام الله في هيكل القيادة الجديد، وتم تعيين اثنين من غير المنتمين لحماس لرئاسة إثنين من الفروع الثلاثة. ويقول سعيد صيام القيادي في حركة حماس الذي مازال مسئولو أمن حركة حماس يلقبونه بوزير الداخلية:

هدفنا هو عدم تسييس الأجهزة الأمنية، ولهذا السبب قمت بتعيين توفيق جبر - وهو عضو سابق في حركة فتح - رئيساً للشرطة ويعمل تحت قيادته 12 ألف عنصر أممي. وهناك فصلا كاملا بين كتائب القسام والشرطة. فكتائب القسام هي الجناح العسكري لحركة حماس للمقاومة ضد الإحتلال وليس لها أي دور داخلي. أي عضو يتدخل في الأمن الداخلي سوف يعامل على أنه مخالف للقانون. وبالفعل ألقت الشرطة والأمن

⁸⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع سعيد صيام، مدينة غزة، فبراير 2008. وبعد دمج القوة التنفيذية مع الشرطة المدنية الفلسطينية في أكتوبر 2007، عاد إلى العمل حوالي 1400 من 10000 رجل شرطة في السلطة الفلسطينية ومابين 400 إلى 22000 فرد من قوات الأمن الوطني التابعة للسلطة الفلسطينية. كما تم تعيين رجال أمن سابقون آخرون في مناصب عليا، بما في ذلك حسين أبو عثرة الذي عين كقائد لقوات الأمن الوطني، في حين رفض بعضهم التعيين. وبعد تعيينهم، قامت اللجنة المركزية لحركة فتح بفصل كل من الرجلان من الحركة، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولى فتح، رام الله، مارس 2008. تم تنزيل رتبة جابر عقب فضيحة في أواخر التسعينيات حيث يقال أنه أخذ رشواى مقابل مساعدة 300 من سكان غزة الأغنياء في دخول مصر بعد أن تم منعهم من الدخول في وقت سابق. وقد كان يعمل كرجل شرطة في رفح عند الإستيلاء على غزة. "عرضت على حماس أكثر من مرة أن تعيد إليّ وظيفتي مرة أخرى. دعاني [قائد كتائب القسام أحمد] الجعبري لشرب القهوة وقال لي أنك رجل عسكري غير فاسد. تعالي واخدم النظام الجديد"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع كبار موظفي السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، أكتوبر 2007. يصر الرؤساء الجدد أن سياسيتهم غير حزبية. يقول جبر، وهو يجلس تحت صورة كبيرة لعرفات: "هذا ليس حكم حماس، انه استكمال لنفس حكومة هنية من قبل الاستيلاء. مهمتي هي الدفاع عن الحريات المدنية بدون أن يكون لي علاقة بأي فصيل سياسي، سواء حماس أو غير ذلك. اذا كانت حماس لا تؤمن بتقاسم السلطة إذا لماذا وضعوني في هذا المنصب؟ هل أظهرت فتح من قبل هذه التعددية والاستعداد لتقاسم السلطة؟" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع توفيق جبر، مدينة غزة، ديسمبر 2007. ويقول رئيس قوى الأمن الوطنية بنفس القدر من الإصرار: "أنا أقوم بتعيين الموظفين وليس حماس". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أبو عثرة، مدينة غزة، ديسمبر 2007. يشكك العديد من المراقبين المطلعين في غزة في هذه الإدعاءات. "رسمياً هم المسئولون، لكن في الواقع ليس لهم أي أهمية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، مارس 2008.⁸⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أكاديمي فلسطيني، مدينة غزة، ديسمبر 2007.⁹⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفي فلسطيني، مدينة غزة، فبراير 2008.⁹¹ وصفت العشائر كيف تدخلت قوات حماس في التفاصيل الصغيرة في الاشتباكات المسلحة بين العائلات وأفتت القبض على الجناة، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، سبتمبر إلى ديسمبر 2007.

⁸⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول أمن متقاعد في السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، أكتوبر 2007. "تقول حماس انها لا تعارض المقاومة، لكنها صادرت أسلحة من العديد من خلايا كتائب شهداء الأقصى، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مقاتلي فتح، مدينة غزة، أكتوبر 2007. قال متحدث باسم لجان المقاومة الشعبية: "جلسنا مع [رئيس وزراء حماس] هنية ولم نرد على اقتراحه للتهدنة عند العبور"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم ألويات النصر، غزة، أكتوبر 2007.

⁸⁵ "القوة التنفيذية لم يعد لها وجود. بل أصبحت الشرطة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع المدعي العام العسكري أمين نوفل، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

⁸⁶ تتألف قوى الامن الداخلي من الاستخبارات السياسية، لمراقبة الفصائل المتناحرة؛ قسم لمكافحة التعاون مع العدو، يهدف إلى الكشف عن التغلغل الاسرائيلي داخل قطاع غزة؛ والاستخبارات العسكرية، التي تهدف الى مراقبة القوات الاسرائيلية، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئولى أمن غربيين وفلسطينيين، القدس وغزة، أكتوبر 2007.

⁸⁷ هناك ثلاثة اقسام أمنية أخرى: الدفاع المدني، قوات البحرية وحماية الشخصيات الهامة (أمن وحماية)، أخبار معا، 2 أكتوبر 2007.

ويقول المحامون أنهم كانوا غالباً ما يمنعون من دخول السجون¹⁰⁰، ويقول المعتقلون الذين تم إحتجازهم في الأشهر الأولى بعد عملية الإستيلاء أن اطلاق سراحهم جاء بعد دفع الكفالة والتعهد بعدم التحدث أو طلب العلاج في المستشفيات الحكومية.¹⁰¹ على الرغم من تحذيرهم بعدم الكلام فإن قصص الذين خضعوا للإستجواب زرعت الخوف في السياسيين وأفراد الأمن على حد سواء. وقد فضل البعض التوازي عن الأنظار¹⁰² خوفاً من إستلامهم بتبليغ بالحضور من الشرطة بتهديد ضمني أنه "إذا لم تأتي، ودع ركبك".¹⁰³ قامت حماس بإستدعاء قادة سياسيين ليس لهم تاريخ في العمل المسلح للتحقيق مرات عديدة لفترات تتراوح بين ساعات وأسابيع.¹⁰⁴ كما يتقاضي كثير من سكان غزة التحدث في الهاتف المحمول خوفاً من المراقبة.

وتتعامل الشرطة مع التجمعات العامة غير المرخص بها، خاصة لو كانت منظمة من قبل حركة فتح، على أنها تعكير للأمن وتقوم بإلغائها. لا تستخدم حماس الأدوات المتعارف عليها لمكافحة الشغب مثل قنابل الغاز المسيل للدموع أو خرطوم المياه (التي حصلت عليها خلال إستيلاءها على قواعد السلطة الفلسطينية)، إنما تلجأ أحياناً للذخيرة الحية، على الرغم من أن مسئولى الأمن يؤكدون أنهم لا يطلقوا النار إلا عندما يتم إطلاق النار عليهم.¹⁰⁵ وفي منتصف شهر نوفمبر عندما أرادت حماس إلغاء مسيرة حاشدة أقامت قواتها عشرات من نقاط التفتيش على بعد أميال من نقطة التجمع وقامت بحجز الحافلات. قال شاهد عيان لمجموعة الأزمات الدولية: "رأيت حماس يضربون الأطفال والنساء المسنين. كما أنهم نعتوا بعض النساء بالراقصات لعدم إرتدائهن الحجاب ومنعوا سائق الإسعاف من الوصول إلى المصابين".¹⁰⁶

مظاهر المعارضة الأقل حجماً قوبلت أيضاً بالقوة. من يضبط مرتدياً ميدالية حركة فتح من أهالي غزة في مخيمات اللاجئين يتم جره في الشارع من قبل قوات حماس التي تضربه بطرف الكلاشنيكوف حتى تكسر أطرافه.¹⁰⁷ وزعم المدرسين الذين

تديرها الميليشيات الخاصة.⁹² كما أغلقت محلات الأسلحة أبوابها مما أدى إلى إتهيار الأسعار حيث سارع التجار إلى التخلص من المخزون.⁹³ وعثرت قوات أمن حماس على معظم السجناء الهاربين وأعادوهم إلى السجن حيث كانوا قد هربوا ومعهم الحراس أثناء الإستيلاء على غزة.⁹⁴ تم إدخال خدمة جديدة في السجن تتيح نقل السجناء إلى السجن المركزي في غضون 48 ساعة.

وبعد ثلاثة أشهر، بدت حماس واثقة بما فيه الكفاية في سيطرتها على سحب الأفراد المسلحين من الشوارع وبوابات الوزارات والمحاكم. بعد سنوات من الفوضى أثنى كثيرون على النظام الجديد: "أستطيع أن أطلب خدمات الطوارئ وسيحضر مائة من رجال الشرطة لإنقاذى". كما يقول أحد أصحاب المتاجر.⁹⁵ السهولة التي أغلقت بها حماس الحدود مع رفح في فبراير 2008 بعد أيام من فتحها يشهد على فعاليتها.

ولكن النظام الجديد كلف سكان غزة العاديين غالباً. كان إستيلاء حماس على غزة عام 2007 قاسياً حيث أدى إلى سفك دماء فلسطينيين أكثر مما فعله الصراع مع إسرائيل خلال هذا العام.⁹⁶ قال طبيب أجنبي يعمل في قطاع غزة: "في أيرلندا الشمالية تقوم القوات شبه العسكرية بإطلاق النار على السائق مرتين، أما في غزة فإنها تفتح نيران المدافع الرشاشة من مسافة قريبة أسفل منطقة الخصر".⁹⁷ وقال أنه خلال الإستيلاء الذى استغرق أربعة أيام تضاعف عدد سكان غزة مبتوري الأطراف. لم تستهدف قوات أمن حماس جماعات الأمن المناسبة لها فقط وإنما أيضاً أعضاء المجتمع المدني في غزة. الإعتقالات كانت متكررة وعنيفة وفي بعض الأحيان وحشية كما كانت تتم غالباً دون أمر قضائي.⁹⁸ أجرت مجموعة الأزمات مقابلة مع معتقلين سابقين ظهرهما مشوه بقضبان حديد حارقة وأطرافهما مكسورة. كسر الفص الصدري لطفل يبلغ من العمر 12 عاماً. وكان لدى بعضهم جروح من الرصاصات فى أرجلهم. بعض الذين تمت معهم مقابلات وصفوا كيف وقعت الانتهاكات بعد أن تم تغطية رؤوسهم بأكياس وربطت أزرعهم.⁹⁹

¹⁰⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد المحامين، غزة،

فبراير 2008.

¹⁰¹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، خان يونس، مدينة غزة ورفح، سبتمبر حتى ديسمبر 2007.

¹⁰² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد قادة فتح، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

¹⁰³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁰⁴ ضموا قادة فتح زكريا الاغا و ابراهيم أبو نجا وحازم أبو شنب، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئولى فتح ومسئولين دوليين، مدينة

غزة، ديسمبر 2007.

¹⁰⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع توفيق جابر، مدينة غزة، ديسمبر 2007. يدعى بعض الشهود أن قوات حماس لجأت لأساليب غير

تقليدية في محاولة لمنع تأدية الصلاة الجماعة في العراء، يزعم شهداء عيان أنهم ألقوا النفايات على المصلين والقوا القمامة فى الحدائق حتى لا تكون

طاهرة للصلاة، مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة،

نوفمبر 2007.

¹⁰⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع إحدى المتظاهرات، مدينة غزة، 12 نوفمبر 2007.

¹⁰⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مخيم الجبلية، سبتمبر 2007.

⁹² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع المدعى العام العسكرى أمين نوفل، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

⁹³ بعد أربعة شهور من الاستيلاء، انخفض سعر الرشاشات من 1900 دولار إلى 1000 دولار، والقنبلة الصاروخية الدفع من 7000 دولار إلى 4500

دولار والرصاصات من 4 دولار إلى 1 دولار، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقبين محليين، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

⁹⁴ خاف البعض من انتقام العشرات فعداوا بإختيارهم، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول دولي، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

⁹⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

⁹⁶ وفى 2007، قتل 302 من سكان غزة نتيجة إشتباك مع إسرائيل بينما قتل 454 آخرون فى العنف الداخلى، UN Humanitarian Monitor report،

ديسمبر 2007.

⁹⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، طبيب أجنبي، غزة، سبتمبر 2007.

⁹⁸ "وفقاً للقانون الفلسطينى لا تحتاج لأمر قضائى لتفتيش المنازل أو للاعتقال"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس المحاكم

العسكرية أمين نوفل، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

⁹⁹ لقراءة ملخص مفصل، أنظر بيان المركز الفلسطينى لحقوق الإنسان، 1

نوفمبر 2007.

وكانت وسائل الاعلام هي الأخرى مستهدفة ، حيث أغلقت السلطات عدة محطات إذاعية وحظرت الصحف الموالية لفتح. وفي شهر فبراير 2008 أوقفت سلطات حماس توزيع جريدة الأيام وهي صحيفة يومية قريبة من حركة فتح ومقرها في رام الله، وأصدرت حكم غيابي على رئيس تحريرها بتهمة "مخالفة الأخلاق المهنية" بعد أن قامت الصحيفة بنشر رواية سلبية عن المفاوضات التي أجراها القيادي في حماس محمود الزهار مع مصر.¹¹³ وبوجه عام ، من المعروف أن قوات الأمن قد داهمت مكاتب وسائل الاعلام¹¹⁴ وصادرت أفلام المصورين من كاميراتهم¹¹⁵ وإستدعت للاستجواب الصحفيين الذين يتعاطفون مع السلطة الفلسطينية في كتاباتهم على حد زعمهم. في مارس 2008 ، منعت السلطات إثنين من الصحفيين من إعداد التقارير للتلفزيون الرسمي للسلطة الوطنية الفلسطينية.¹¹⁶

كما يتحدث الصحفيون عن استثناء مناخ من الرقابة الذاتية.¹¹⁷ في الوقت نفسه، عززت حماس وسائل الاعلام الخاصة بها، التي تضم قناة الأقصى، وهي قناة فضائية تم إطلاقها في شهر أكتوبر 2006، وعدة مواقع إلكترونية، وصحيفتان، محطة إذاعية واحدة. ونظراً لإنتشار استخدام أطباق الأقمار الصناعية ، يستطيع أهالي غزة الحصول على المعلومات من مصادر خارجية ولكن بالإضافة إلى هذه البرامج فهم يحصلون على وجبة دسمة من الأخبار الحزبية.

وبوصفها حركة معارضة، تدعو حماس إلى إحترام حقوق الإنسان ، فمن ضمن التسعة عشر إلتراماً الواردة في برنامجها الانتخابي لعام 2006 المتعلقة بالسياسة الداخلية هناك ثمانية بنود تتحدث عن الحريات المدنية.¹¹⁸ وفي ردها على تهمة خلق دولة بوليسية، يتذبذب كوادر حماس بين الإنكار وإلتماس التهم. ندد البعض بهذه الإتهامات ووصفها بأنها دعاية لصالح فتح أو إسرائيل ونفوا صحتها: "طلبنا من منظمات حقوق الإنسان التحقق من جميع سجوننا. لا يوجد سجين سياسي واحد. ببساطة

شاركوا في الإضرابات غير المرخصة التي دعت إليها رام الله أنهم تعرضوا للضرب أمام طلابهم.¹⁰⁸ كما تقوم قوات الأمن بقمع أقل التجمعات العائلية حجماً خوفاً من الصبغة السياسية لهذه التجمعات. ويصف أحد سكان مخيم للاجئين في غزة - ما زال يستخدم العكازات - حفل زفاف ابن أخيه في سبتمبر 2007 بقوله:

خلال الزفاف ، كنا قد نصبنا صورة كبيرة لـ [قائد حركة فتح المعتقل مروان] اليرغوتي على الجزء الخلفي من المنصة ، وكان البعض يرقصون بأعلام فتح ويغنون أناشيد حركة فتح. بعد ذلك بليتين ، وصلت قوات حركة حماس في ثلاث سيارات تابعة للشرطة عند أبوابنا. قام أحدهم بإطلاق إحدى قنابرها (ياسين) على الطابق الأعلى ، بعد ذلك قام آخرون بكسر الباب بقضبان حديدية التي إستخدموها لضربنا على رؤوسنا ، وأذرعنا ، وظهورنا. كسرت ذراعاً العريس وعندما نقله أخي إلى المستشفى تم إحتجازه. وعندما إنطلقوا بسياراتهم أخذين أخ آخر معهم صدموا أمي فسقطت طريحة على الأرض.¹⁰⁹

وبحلول نهاية العام، كانت القوى الامنية قد نجحت إلى حد كبير في قمع المعارضة المدنية في قطاع غزة. وقد إختفت أعلام حركة فتح التي كانت منتشرة على أسطح المنازل خلال عام 2007. وبعد صدور دعوات لتنظيم مسيرات للإحتفال بتأسيس حركة فتح في الأول من يناير 2008، داهمت حماس العديد من مكاتب فتح، حيث صادرت المعدات والأثاث وقامت بمنع الألعاب النارية والإحتجاجات في جميع أنحاء قطاع غزة عن طريق إطلاق النيران مما أدى إلى مقتل ستة أشخاص، منهم صبي في الثانية عشرة من العمر أصيب بطلق ناري في رأسه¹¹⁰ وإلغاء المسيرة الجماهيرية.

كما نشرت حركة حماس جهازها الامني للسيطرة على مؤسسات السلطة الفلسطينية. وإستولت قوات الأمن على المستشفيات الحكومية، والمحاكم وخمس بلديات تديرها فتح، وصادرت سيارات مرخصة للسلطة الفلسطينية¹¹¹ وصادرت معدات منشآت غير حكومية - بما في ذلك مقر الأحزاب السياسية ومكاتب منظمات رعاية الأسرى - قبل أن تحولها إلى مراكز للشرطة.¹¹²

وعقب تجمع صلاة الجمعة في سبتمبر ، إحتلت قوات حماس بصورة مؤقتة مقر منظمة التحرير الفلسطينية في غزة.

¹¹³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محمود الزهار، مدينة غزة، فبراير 2008. أصدرت محكمة في غزة الحكم على رئيس التحرير والمستشار الرئاسي أكرم هنية وموظفين آخرين بدفع غرامة باهظة والسجن في تهم أخرى من بينها نشر رسوم كارتون تستهزئ بأعضاء في المجلس التشريعي الفلسطيني، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع برلماني في المجلس التشريعي الفلسطيني ومراقب حقوق إنسان فلسطيني وصحفي بجريدة الأيام، غزة ورام الله، مارس 2008.

¹¹⁴ أحياناً تحدث الغارات عندما يتم إستدعاء موظفي المكتب للإستجواب. المكاتب التي تتعرض للغارات تتضمن مركز ثقافة واعلام فلسطين (دير البلح، 6 سبتمبر 2007)، فلسطين بلا حدود (3 أكتوبر 2007) وصحيفة الاستقلال التابعة لحركة الجهاد الاسلامية (27 سبتمبر 2007)، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد ناشطي حقوق الإنسان، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

¹¹⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفي فلسطيني، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

¹¹⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفي فلسطيني، مدينة غزة، مارس 2008.

¹¹⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفي فلسطيني، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

¹¹⁸ على سبيل المثال، تنص المادة 7 على "حظر الاعتقال السياسي ورفض صادرة الحق في التعبير عن رأي". أنظر عزام تميمي، Hamas: Unwritten Chapters، (لندن، 2007)، الملحق vi.

¹⁰⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد المدرسين، مدينة غزة، سبتمبر 2007.

¹⁰⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، خان يونس، سبتمبر 2007.

¹¹⁰ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفيين فلسطينيين ومراقبي حقوق الإنسان، مدينة غزة، يناير 2008.

¹¹¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مستشار العمدة، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

¹¹² مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقبين فلسطينيين، مدينة غزة، دير البلح ورفح، ديسمبر 2007 ومارس 2008.

ب. السيطرة التشريعية والقضائية

منذ إستيلاء حماس على غزة في يونيو، تسعى السلطات في قطاع غزة الى تغيير السلطة القضائية، فضلا عن المجلس التشريعي الفلسطيني، الذي تستمد منه الحكومة دستوريتها. مقاطعة السلطة الفلسطينية للمؤسستين أدى إلى إحتضارهما. ومن أجل تفعيل المجلس التشريعي وإستعادة الأغلبية التشريعية فيه، شرعت حماس في إيجاد سبل للتعويض عن الأربعون برلمانياً الذين إحتجزتهم إسرائيل في الفترة بين يونيو وأغسطس 2006، حيث وضعت صورهم في القاعة وسمحت لهم أن يصوتوا بالوكالة.¹²⁵ وفي السابع من شهر نوفمبر 2007، إجتمع المجلس التشريعي للمرة الأولى منذ الإستيلاء على غزة كهيئة تابعة لحماس ماعدا برلماني واحد مستقل. أول قانون تم إعتماده في المجلس هو إلغاء أربعة عشر قراراً أصدرها الرئيس عباس منذ الإستيلاء على غزة. إجتمع المجلس كل أسبوع في غزة فقط، حيث أقر مشاريع قوانين بشأن تشكيل محكمة عسكرية، والسماح للنساء بإستخدام أسمائهن قبل الزواج في السجلات الرسمية.

وبالرغم من أن معظم الإجراءات التي إتخذتها السلطة التشريعية يغلب عليها الصفة الخطابية فإن الوضع كان مختلفاً بالنسبة للجهاز القضائي، ففي أعقاب الإستيلاء على غزة التي قامت حماس خلاله باقتحام مبنى النيابة العامة، وأوقفت السلطة الفلسطينية عملياتها. أصاب القرار نظام العدالة الجنائية في غزة بالشلل والذي كان خارج الخدمة بالفعل: ففي غياب المدعى العام فلن يتم تقديم القضايا الجنائية للمحكمة؛ وبدون قوة بوليسية، لا يمكن تنفيذ الأحكام.

كان رد فعل حماس الأول هو تجاوز المحاكم، حيث قام ضباط الأمن التابعين لحماس بإصدار أحكام عاجلة أقرها رجال الدين، لا سيما البرلماني الإسلامي مروان أبو راس الذي كان يعرف بمفتي حماس.¹²⁶ تحت رعاية أبو راس، قامت السلطات بتوسيع نطاق لجان الإصلاح الإسلامية والذي يعتبر منذ مدة طويلة بديل حماس غير الرسمي للمحاكم.¹²⁷ وللتواصل مع الجمهور قامت جامعة العلماء المسلمين وهي جمعية من رجال الدين يرأسها أبو راس بتوزيع كتيبات تتضمن أسماء وأرقام الهواتف الجوال الخاصة بأعضاء اللجنة على جميع أنحاء قطاع غزة.¹²⁸ وبحلول

لا توجد مقارنة بين الوضع الآن والأوضاع التي كانت سائدة قبل الإستيلاء.¹¹⁹ وأصر آخرون على أنه مهما كانت التجاوزات فهي لا شئ مقارنة بممارسات أجهزة أمن حركة فتح - سواء في الماضي أو في الوقت الحاضر في الضفة الغربية¹²⁰ - وتأتي نتيجة إما لـ "قلة خبرة"¹²¹ الشرطة أو لضغوط الحصار أو عمليات عسكرية إسرائيلية أو توتر داخلي حزبي أو عائلي، مما يستهدف أحياناً بعض من حكام غزة الجدد:

مثل هذه الأمور لم يكن مخطط لها، ولكننا ننشئ نظام للفحص والرقابة. لا نقبل بمثل هذه الأخطاء التي أصبحت روتينية. على شعبنا أن يحترم القانون مثل كل الشعوب الأخرى، بل وأكثر منهم. سيستغرق الأمر وقتاً، ليس سنوات ولكن أسابيع وربما شهور. يجب أن يكون من المفهوم أن هذه الحوادث ستستمر على الأرض إذا لم يتغير السياق الذي نعيش فيه، بمعنى الضغوط التي نعيش فيها ومحاولات فتح المستمرة لإثارة المتاعب.¹²²

ورداً على النقد الموجه إليهم شرع مسئولو حماس في شن حملة علاقات عامة، حيث حضروا مؤتمرات منظمة محلياً عن حقوق الإنسان، وناشدوا الإتحاد الأوروبي من أجل إعادة برامج التدريب في مجال حقوق الإنسان للشرطة والسلطة القضائية. وتقول حماس أن أي مخالفين يقدموا للعدالة ويتم الحكم عليهم بالسجن في بعض الحالات. وإدعى مسؤولون أن عدد من ضباط الشرطة تلقوا أحكام من محاكم غير علنية بسبب "تجاوزات" وتمت معاقبتهم بنقلهم، أو بالخصم من أجورهم، أو بالحبس لمدة 21 يوم. كما بدأت السلطات التحقيق في مقتل أربعة أعضاء في عشيرة حلس في غزة في أكتوبر واستخدم الذخيرة الحية في مسيرة نوفمبر 2007. وفي أواخر شهر أكتوبر قام برلمانيو حماس بمسائلة رئيس الشرطة توفيق جبر حول إنتهاكات الحقوق المدنية - وهذا على النقيض تماماً، كما يصرون، من الوضع في الضفة الغربية، حيث لا تتعرض السلطات للمساءلة أمام البرلمان أو أي شخص آخر.¹²⁴

¹¹⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، أحد مسئولى حماس في المنفى، نوفمبر 2007.

¹²⁰ "كانت السلطة الفلسطينية أسوأ. كانوا يطلقون النار على المصلين. في 1995 قتلت السلطة الفلسطينية 20 شخص داخل مسجد فلسطين [في مدينة غزة]"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو المجلس التشريعي الفلسطيني مروان أبو راس، مدينة غزة، سبتمبر 2007. الوضع في الضفة الغربية سيكون موضوع تقرير مجموعة الأزمات الدولية القادم.

¹²¹ "تتألف الشرطة من مقاتلي كتائب القسام سابقين ممن يعرفون الملاكمة لكن لم يتدربوا أبداً في الشرطة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولى حماس، غزة، مارس 2008.

¹²² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولى حماس، سبتمبر 2007.

¹²³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع كبار مسئولى الشرطة، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

¹²⁴ " سنتم محاسبة أي رجل شرطة يتعدى على حقوق الإنسان"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع جبر، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

¹²⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو المجلس التشريعي الفلسطيني صلاح البردويل، مدينة غزة، فبراير 2008. السلطة الفلسطينية لا تعترف بقانونية تفويض البرلمانين الآخرين.

¹²⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو المجلس التشريعي الفلسطيني مروان أبو راس، مدينة غزة، سبتمبر 2007.

¹²⁷ في 22 يوليو 2007، أعلن المتحدث باسم القوة التنفيذية اسلام شهوان أنه سيتم استبدال مكتب النائب العام بلجنة الإصلاح. سبق نظام التحكيم الإسلامي حكم حماس. أنشأ مركز المجمع الإسلامي مؤسس حماس الشيخ أحمد ياسين في 1973، إخترق مجتمع غزة من خلال الوساطة وحسم النزاعات بين العشائر المتناحرة"، شاؤول ميشال وافرهم سيليا،

The Palestinian Hamas (نيو يورك، 2000)، ص 21. لمعلومات أكثر، انظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم 71،

Inside Gaza: The Challenge of Clans and Families

20 ديسمبر 2007.

¹²⁸ دليل لجان الإصلاح، نشرته جامعة العلماء المسلمين، 2007.

على جهاز قضائي متمرد أعطى الحلبي قضاة غزة الـ 44 مهلة أسبوع للعودة إلى العمل أو سيتم إيقافهم عن العمل¹³⁴ وعندما لم يعيروا تهديده إهتماماً، قام الحلبي بتعيين بدلاء لهم¹³⁵.

ولتقادي هذا المصير أوقفت نقابة المحامين إضرابها في يناير 2008، مما مهد الطريق لأعضاءها الـ 750 للعودة إلى العمل¹³⁶. وبحلول فبراير 2008، كانت محاكم غزة الجنائية تعمل مرة أخرى. ومنذ ذلك الحين وهي تنفذ الأحكام بسرعة أكبر والقضاة، كما يبدو، يعملون لساعات أطول عن ذي قبل، مما دفع بأحد المحامين أن يقول: "المحاكم تعمل الآن على نحو أفضل مما كانت عليه قبل الإستيلاء على غزة"¹³⁷. ومع ذلك عبر المحامون عن قلقهم إزاء التدخل التنفيذي، وتسييس الجهاز القضائي، والتداعيات الطويلة المدى نتيجة فصل السلطة القضائية في غزة عن رام الله¹³⁸. وبالسيطرة على السلطات التشريعية والقضائية أصبح لحماس سلطتها الخاصة بها¹³⁹.

ج. السيطرة البيروقراطية

سعت السلطات في غزة إلى السيطرة على البيروقراطية التابعة للسلطة الفلسطينية، والتي تخضع لحكومة فياض، حيث شكلت هيئة إدارة تتميز بتعدد المهام. فيحمل وزير الاقتصاد الوطني أربعة حقائب وزارية أخرى؛ وفي أوقات فراغه يخدم وزير الصحة كوزير إعلام، ووزير شباب ووزير لشئون الأسرى. قام الوزراء بتطهير وزارات الخدمات الرئيسية مثل التعليم والصحة والشؤون الدينية والدرجات العليا في الإدارات الحكومية الرئيسية ومؤسسات القطاع العام من الموالين لحركة فتح. ففي وزارة الشؤون الدينية، فصلت حركة حماس نحو 300 من الدعاة،

¹³⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول فلسطيني، مدينة غزة، ديسمبر 2007. أيدت نقابة المحامين الفلسطينية أعمال الإضراب.

¹³⁵ بحلول فبراير 2008، كان الحلبي قد عين 24 قاضياً جديداً، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس المحكمة العليا عبد الرؤوف الحلبي، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹³⁶ "نحن لا نتلقى مرتبات من حكومة رام الله، بل نعتمد على عمالنا كمصدر دخل لنا ولذا كان علينا أن نعود للعمل"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد المحامين، دير البلح، فبراير 2008.

¹³⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، دير البلح، فبراير 2008. إنتقد البعض كفاءة القضاة الجدد بينما مدح آخرون مستوياتهم. "كانت الشرطة تحت حكم فتح تنفذ أحكام ضد الفقراء، وليس ضد الأغنياء وأصحاب النفوذ. كان الفساد يشع. لكن هذا تغير مع وجود حماس"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد المحامين، مدينة غزة، أكتوبر 2007. مع ذلك، لا يزال بعض المحامين ينتقدونها. "هذه المحاكم هي محاكم حماس وليست محاكم قانونية. تم تشكيلها بمخالفة القانون ويقوم قضاها بخرق القانون"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد المحامين، غزة، مارس 2008.

¹³⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد المحامين الكبار، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

¹³⁹ وبالرغم من ذلك فوجود هئتين قضائيتين متنافستين بالنسبة لكثير من أدي إلى أن أصبحت غزة مهملتها قانونياً. "لا يسجل المجلس الأعلى للقضاء التابع للسلطة الفلسطينية أي أحكام قانونية، وبالتالي فأحكام غزة قد تعتبر باطلة ولاغية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عصام يونس مدير مركز الميزان لحقوق الإنسان، مدينة غزة، أكتوبر 2007. "إذا كسب أحد قضية في غزة، يستطيع خصمه أن يرفع دعوى أخرى في رام الله وقد يكسبها أيضاً"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

شهر سبتمبر 2007 كانت حماس تدير نحو 30 لجنة لا تطبق القوانين الإسلامية على نحو صارم. ويصف مسؤول قضائي هذه اللجان على أنها "سد خاتمة، حيث لم تكن نستطيع أن نترك غزة بدون سلطة قضائية تؤدي عملها"¹²⁹. وعلى عكس القطاع الرسمي، كانت الأحكام تصدر وتنفذ بسرعة من قبل قوات حماس الخاصة¹³⁰. تم العمل بهذا النظام تحت سيطرة حماس التنفيذية مما قضى على أي مظهر من مظاهر الإستقلال القضائي.

ملأت حماس الفراغ تدريجياً في القطاع الرسمي، فبعد مرور حوالي شهرين على إستيلائها على غزة أعادت حكومة هنية إحياء المحاكم العسكرية، حيث وسعت نطاق سلطتها ليشمل ليس فقط الموظفين الذين لم يتركوا أماكنهم وإنما أيضاً عشرات الآلاف من أفراد الأمن من السلطة الفلسطينية كانوا قد أوقفوا العمليات و "أي شخص يقوم بمهاجمة الأفراد أو المنشآت العسكرية، بما في ذلك الشرطة"¹³¹. وفي يناير 2008، أصدرت المحكمة أول حكم بالإعدام¹³².

ثبت أن الحملة الرامية إلى إحياء نظام العدالة الجنائية كانت أكثر صعوبة. في مواجهة المقاطعة المستمرة من النيابة العامة في السلطة الفلسطينية، فصل هنية النائب العام أحمد المغاني في أغسطس 2007، حيث قامت قوات حماس باقتحام مكتبه واحتجازه ومصادرة ملفاته. أفضل قضاة غزة كل محاولات تعيين نائب جديد على إعتبار أن هذا التعيين غير دستوري ورفضوا التعاون. وكان من نتيجة إشتداد حدة المواجهة مع القضاة قيام حماس بتشكيل مجلس العدل الأعلى في سبتمبر 2007، حيث نسبت إليها الصلاحيات الرئاسية في إستبدال قضاة مستقلين¹³³. وفي ظل جهاز قضائي مشلول بعد شهر من المواجهة تولى رئيس المجلس عبد الرؤوف الحلبي رئاسة المحكمة العليا حيث جاء ترافقه حراسة مسلحة من حماس وأعلن نفسه رئيس القضاة مطالباً القضاة أن يطيعوا أوامره. وردا على ذلك، قام الجهاز القضائي برمته بإعلان الإضراب. وإغتناماً لفرصة السيطرة

¹²⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس المحكمة العليا عبد الرؤوف الحلبي، مدينة غزة، فبراير 2008. "أغلقت الأبواب للحوار. ليس أمام حماس أي خيار سوى إعادة ترتيب الحياة في غزة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو المجلس التشريعي الفلسطيني صلاح البردويل، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹³⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد المحامين، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

¹³¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع المدعي العام العسكري أمين نوفل، مدينة غزة، أكتوبر 2007. تم تعيين نوفل، وهو مدعي عام سابق فصلته السلطة الفلسطينية في 2006 لصلته بحماس، كمدعي عام عسكري من قبل حكومة حماس في أغسطس 2007. أثار الإستخدام واسع النطاق لمحاكمهم القلق حتى بين أوساط قضاة عينتهم حماس. قال أحدهم بعد أن إعلان حماس أن الذين كانوا يخططون لإغتيال هنية سيتم محاكمتهم عسكرياً "يجب تطبيق القانون الجنائي الصادر عام 1936"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، خان يونس، فبراير 2008.

¹³² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد ناشطي حقوق الإنسان، مدينة غزة، يناير 2008. لم يتم تنفيذ عقوبة الإعدام لأنها تقتضى توقيع الرئيس عباس على التنفيذ، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد نواب حماس، فبراير 2008.

¹³³ تم إستحداث المجلس الأعلى للعدل التابع لحماس ليحل محل مجلس القضاء الأعلى التابع للسلطة الفلسطينية، ومقره في رام الله.

بل ندير أزمة. وليس لدينا أي ميزانية¹⁴⁷. ما يزيد من تعقيد الوضع أن حكومة فياض لا تزال تسعى إلى إدارة هؤلاء الموظفين الذين لم يتركوا وظائفهم ولا يزالون يتلقون مرتباتهم منها عن طريق التحكم عن بعد. بعض وزراء حماس لا يديرون أكثر من مرفق صغير داخل وزاراتهم، ويتكون من حاشية من الحراس الشخصيين قليلي الخبرة ومستقلة عن بقية الوزارة التي ما زالت موالية لحكومة فياض شكلياً.

أحياناً تشجع المنافسة على الإنتاج، حيث ساهمت الأموال التي تدفعها حكومة فياض بشكل منقطع لإعانة العاطلين على تشجيع حماس أن تحذو حذوها، مستخدمة في ذلك مواردها الخاصة¹⁴⁸. تسابق الطرفان لتوصيل الحجاج إلى مكة¹⁴⁹ ولكن الحجاج وقعوا بين قيادتين متنافستين حيث الجزء الأكبر منهما مصاب بالشلل. إنخفضت المعنويات بشدة: كثير من الموظفين يظهرون لفترات قصيرة على مكاتبتهم أو يظلون في منازلهم¹⁵⁰ ويقول أحد موظفي الحكومة: "عملي عبارة عن تمثيلية. كل يوم أظهر نفسي في المكتب ثم أختفي دون أن أفعل شيئاً. ولا أحد يستطيع أن يتخذ أي قرار"¹⁵¹.

د. الأسلمة؟

بعد تسعة شهور من الاستيلاء على غزة لا تزال نوايا حماس فيما يخص نوع النظام الاجتماعي التي تعتمدها غير واضحة. ففي حين تزعم حماس أنها تريد أن "تتشئ نموذج مشرف"¹⁵² وتتفي أي نية لفرض كيان إسلامي بصورة قسرية، قامت بتعيين

وكتب المدارس ودعم المرتبات. عندما سئل موظف معونة عما إذا كان هذا متوافق مع سياسة اللجنة الرباعية المعارضة لدعم حماس قال: "ليس من القانوني القول بأنه بسبب وجود حماس في غزة، اننا لن نهتم بالرعاية الصحية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظف معونة، القدس، مارس 2008.

¹⁴⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع وزير الاقتصاد الوطني في حكومة حماس، زياد ظاظا، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

¹⁴⁸ لم تدفع إعانات البطالة، والتي كانت تبلغ 250 دولار في الشهر قبل انتخابات 2006، بصورة منتظمة بعد أن تولت حماس الحكم. هذا حدث في أكتوبر 2007، عندما قامت أيضاً بحكومة فياض بدفع المرتبات في نفس توقيت حلول شهر رمضان. بعد استيلاء يونيو 2007، دفعت ضغوط الميزانية حماس للسعي إلى تطهير السجلات من مدعي البطالة، حيث خفضت قائمتها من 120 ألف إلى 64 ألف. يؤكد مسئولون عينتهم حماس أنه تم إختيار المستفيدين على أساس معايير غير حزبية؛ حيث قالوا أنهم حتى يستفيدوا من الإعانات، يجب على المثلقي أن يكون رب أسرة مكونة من ثلاثة أطفال أو أكثر، وألا يكون مثلقياً للدعم في نفس الوقت من رام الله، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مسئول في وزارة العمل، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

¹⁴⁹ أمنت حكومة غزة مرور 2450 حاج من غزة عن طريق معبر رفح مع مصر، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفي، غزة، ديسمبر 2007. نظمت السلطة الفلسطينية مرور 920 آخرون عبر إسرائيل،

op. cit. "Gaza Special Focus".

¹⁵⁰ أقل من ثلث الموظفين الـ 170 في وزارة العمل في غزة وخمس الموظفين في وزارة النقل كانوا يمارسون عملهم عندما زارت مجموعة الأزمات الدولية مقارهم في أكتوبر وديسمبر 2007.

¹⁵¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مدير عام في إحدى الوزارات، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

¹⁵² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو المجلس التشريعي الفلسطيني صلاح البردويل، مدينة غزة، فبراير 2008.

حوالي 25 في المائة من إجمالي عددهم، من مساجدهم أحياناً بالقوة¹⁴⁰ وتم الإستغناء عن كثير من رؤساء الإدارات، بما في ذلك معظم مديري المستشفيات، عن طريق النقل أو الفصل أو التقاعد. وعندما ردت نقابات عمالية مدعومة من السلطة الفلسطينية بالاضراب والاحتجاج، استغلت حكومة حماس غيابهم لتدخل المزيد من التغييرات في صفوف الموظفين.

واستمرت حماس في تقليل إدارتها حتى وصلت إلى بيروقراطية هيكلية من الموالين. وتحت ذريعة الحاجة الاقتصادية والسياسية، تباهى المتحدثون الرسميون بتقليص حجم الموظفين الذي قلما ما نجده في العالم العربي. فبينما تقول حكومة فياض أنها تدفع رواتب 77 ألف موظف في غزة، تدير حكومة حماس القطاع بربع هذا العدد من الموظفين¹⁴¹. يقول أحد مسئولي حماس: "إذا كان لديك موظفين فعالين يكونون في العمل، يمكنك أن تدير غزة بـ 20 ألف موظف. الموظفون القدامى لم يكونوا منتجين وكانوا يمثلون عبئاً على الحكومة. الآن الإنتاجية أعلى"¹⁴².

ولكي تقوم بسد النقص الناتج عن إضراب البيروقراطيين عن العمل، قامت سلطات غزة بتعيين متطوعين تم اختيارهم من ضمن صفوف موظفي السلطة الفلسطينية المتقاعدين، وخريجي الجامعات العاطلين الراغبين في تحسين أحوالهم بالحصول على وظيفة حكومية مربحة¹⁴³ وفي بنك الدم في مستشفى الشفا والتي تعد أكبر مستشفى في غزة إختيار الأطباء نحو 20 متطوع ليحلوا محل 33 موظف من ضمن خمسين عامل أعلنوا إضرابهم عن العمل إعتباراً من فبراير 2008¹⁴⁴. وعقدت وزارة التربية والتعليم في غزة إمتحانات القبول لإختيار ألفين مساعدي فصول ونواب مديريين جدد¹⁴⁵.

ومع ذلك، لا تزال هناك مشاكل مؤسسية خطيرة تقف في طريق جهود حماس الرامية إلى إنشاء بيروقراطية موازية. فهناك تباين كبير بين الخدمات المقدمة على أيدي متدربين ومبتدئين وموظفي حكومة متقاعدين¹⁴⁶. ويقول أحد الوزراء: "نحن لا ننفذ برنامج،

¹⁴⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظف في وزارة الأوقاف، الجبلية، فبراير 2008.

¹⁴¹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئولي فتح وحماس في رام الله وغزة، ديسمبر 2007. في أكتوبر 2007، زعمت حماس أنها دفعت رواتب 7 آلاف موظف حكومي و9 آلاف فرد عسكري. خطاب ألقاه إسماعيل هنية حضرته مجموعة الأزمات الدولية، مسجد مخيم الشاطئ، 11 أكتوبر 2007. كما تزعم حماس أن 4 آلاف موظف بلدية انضموا إلى جدول عاملها في ديسمبر 2007، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع زياد ظاظا، مدينة غزة، ديسمبر 2007. لقراءة تحليل مصادر الإيرادات، انظر أدناه.

¹⁴² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحمد يوسف، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁴³ كان المتطوعون في البداية لا يتلقون أي مرتبات، لكن مع بداية 2008 بدأوا يتلقون راتب شهري من الحكومة يبلغ 100 دولار، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع المتطوعين، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁴⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع طبيب في مستشفى الشفا، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁴⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في وزارة التعليم، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁴⁶ نظراً لقلة التمويل، تعتمد الكثير من الفعاليات الحكومية، خاصة في قطاع الصحة، على الدعم من الحكومات الأجنبية والأمم المتحدة. توفر الجهات المانحة، بما في ذلك الأمم المتحدة والحكومات الغربية، الأدوية، والتدريب،

مجال الصحة؛ تكفير عباس لتفاوضه مع إسرائيل؛¹⁶³ والموافقة على أحكام المدعى العسكري.¹⁶⁴

جاء رد أحد كبار قضاة حماس غامضاً: "نريد من المحاكم أن تطبق الشريعة، لكننا لن نجبر الناس على ذلك".¹⁶⁵ إلا أنه في بعض الحالات، قد قاموا بذلك بالفعل. أصدرت سلطات حماس تعليمات للأعراس، تحذر من الرقص المختلط والأناشيد غير الإسلامية.¹⁶⁶ كما يقول المحامين أن المدعين العامين الجدد يحتاجون إلى شهادة موافقة من سلطات حماس المحلية (تنفي حماس هذا الإدعاء).¹⁶⁷ وفي الوقت نفسه، تخضع المساجد لرقابة محكمة من مقاتلي حماس.¹⁶⁸

وعلاوة على ذلك، وسط تزايد عزلة غزة الذي يرافقه انسحاب الوجود الغربي، أصبحت الأعراف الاجتماعية أكثر محافظة - وهي عملية شجع عليها بعض من مقاتلي حماس الأكثر تشدداً، خاصة داخل قوات الأمن. وقد زاد الوقت المخصص للتعليم الديني في المدارس، ويقوم بعض المدرسين بمعاينة الفتيات اللاتي لا يلبسن الحجاب. رغم أن النساء مازالت تسير في الشوارع بدون حجاب ويقول المسؤولون أنه لا يوجد قواعد على الملابس،¹⁶⁹ إلا أنه من المعروف أن مقاتلي حماس يفرضون على بعض النساء ارتداء الحجاب.¹⁷⁰ وبالمثل بينما منعت حماس قتل النساء في قضايا أخلاقية، إلا أن بعض الحالات التي يتم فيها ضبط غير المتزوجين في سيارة تعرضوا فيها للضرب والإحتجاز.¹⁷¹ معدل الهجمات على مقاهي الإنترنت والتي من الواضح تقوم بها جماعات لا تنتمي لحماس بدأت في الإرتفاع بعد فترة توقف قصيرة عقب الإستيلاء على غزة. ويتهم مسيحيو غزة قوات حماس بأنهم لا يفعلون إلا القليل جداً وبعد فوات الأوان لمواجهة الزيادة الكبيرة في الهجمات على جالياتهم المكونة من 3000 شخص، ويقول البعض أن هذا دليل على

بعض الأفراد من غير أعضاء الحركة لإدارة أجهزة الأمن¹⁵³ والإشراف على الجهاز القضائي.¹⁵⁴ لا توجد دلائل واضحة على أسلمة المحاكم أو المدارس. لم تغير السلطات المناهج الدراسية التي وضعتها السلطة الفلسطينية، أو قانون أو دستور السلطة الفلسطينية.¹⁵⁵ وفي شهر يناير 2008 عينت حماس قاضية وقامت بترقية واحدة أخرى لرئاسة محكمة الإستئناف وهو إجراء يتوافق مع ممارسات السلطة الفلسطينية ولكنه يتعارض مع التقاليد الإسلامية.¹⁵⁶ وجددير بالذكر فإنه منذ أغسطس 2007 قامت حماس بتجنيد شرطيات لملء الفراغ، حيث قامت بعمل حملات دعائية من خلال محطات الإذاعة والتلفزيون، وكذلك من خلال المساجد تشجعهم على الإنضمام للشرطة فتقدمت أكثر من مائة امرأة للوظيفة.¹⁵⁸ يقول أحد مسئولى حماس: "إن الناس في رام الله يحاولون وصم حماس بأنها متطرفة، ولكن لن تقوم إمارة إسلامية في غزة".¹⁵⁹

ومع ذلك، فإن الأداء السابق في الماضي لا يعتبر ضماناً للسلوك المستقبلي حيث أن منظمات الحقوق المدنية بالإضافة إلى دعاة غير أعضاء في حماس لا يزالون يعبرون عن قلقهم الشديد فيشيرون إلى أشكال غير مباشرة من الضغط الإجتماعي.¹⁶⁰ يوجد داخل حماس فصيل أشد تطرفاً يدعوا لدور أكبر للشريعة الإسلامية. الفتاوى - خاصة تلك الصادرة عن مروان أبو راس - تجيز الإجراءات المثيرة للجدل التي تتخذها حماس ومن ضمنها: قتل سميح مدهون، أحد قادة كتائب شهداء الأقصى التابعة لفتح؛¹⁶¹ قمع المسيرات التي تنظمها حركة فتح أثناء بعض الصلوات؛¹⁶² الحظر المفروض على إضراب العاملين في

¹⁵³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع سعيد صيام، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁵⁴ "قمنا بتعيين قضاة من فصائل مختلفة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس المحكمة العليا عبد الرؤوف الحلبي، مدينة غزة، فبراير 2008. مجموعة الأزمات الدولية على علم بتعيين قضاة كانوا أعضاء في فصائل أخرى في السابق.

¹⁵⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محامين، قاضي، وأحد كبار المسؤولين في وزارة التعليم يعمل لدى حكومة رام الله، غزة، مارس 2008.

¹⁵⁶ "هناك آراء متعارضة حول تعيين النساء في منصب قاضية. لكن عندما سألونا، أجبنا بأن هذا لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مروان أبو راس، مدينة غزة، مارس 2008.

¹⁵⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس المحكمة العليا عبد الرؤوف الحلبي وأحد المحامين، مدينة غزة ودير البلح، فبراير 2008.

¹⁵⁸ تغريد الخضري،

"Hamam Police Force Recruits Women in Gaza"

نيو يورك تايمز، 18 يناير 2008.

¹⁵⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحمد يوسف، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁶⁰ "تحت حكم حماس، أصبح المجتمع أكثر تحفظاً عن أي وقت مضى"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب حقوق إنسان، مدينة غزة، فبراير 2008. "تم تسييس المنبر، وتقوم حماس بتحويل ديانة الساحة إلى ديانة الإرهابيين"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع داعية، الجبلية، سبتمبر 2007.

¹⁶¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مروان أبو راس، مدينة غزة، سبتمبر 2007. تم بث اعدام مدهون كامل على تلفزيون الأقصى، وتظهر المشاهد مدهون وهو يتوسل من أجل حياته بينما تقوم الجماهير بسحله في الشوارع.

¹⁶² "إستغلال الصلاة في الفتنة حرام"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أبو راس، مدينة غزة، سبتمبر 2007.

¹⁶³ انظر المرجع السابق.

¹⁶⁴ انظر المرجع السابق.

¹⁶⁵ انظر المرجع السابق.

¹⁶⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع نوفل، مدينة غزة،

أكتوبر 2007.

¹⁶⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محامين، دير البلح، فبراير 2008. انكرت حماس هذه الادعاءات، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس المحكمة العليا عبد الرؤوف الحلبي، مدينة غزة،

فبراير 2008.

¹⁶⁸ تم تطهير المساجد من المنشقين. تم استجواب الدعاة المشكوك في ولاءهم لغير حماس وأحياناً تم ضربهم، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، خان يونس، سبتمبر 2007. تم إطلاق النار بالمداغ الرشاشة على منزل إمام آخر في مخيم الجبلية كان قد تم فصله من الوزارة، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع إمام، مخيم الجبلية، سبتمبر 2007.

¹⁶⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس الشرطة توفيق جابر، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

¹⁷⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول محلي في الأمم المتحدة، مدينة غزة، سبتمبر 2007.

¹⁷¹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محامي ومسئول في الأمم المتحدة، مدينة غزة، أكتوبر 2007. "إذا وجدنا رجل وامرأة في ظروف مريبة، نبلغ أسرة المرأة. لا يمكن لإمرأة أن تتركب سيارة مع رجل غريب أو أن تذهب معه إلى الشاطئ"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أبو راس، غزة، سبتمبر 2007.

عن الإنخفاض في معونة التنمية قامت الأمم المتحدة ووكالات دولية أخرى بزيادة مساعداتها الإنسانية لغزة.

ثالثاً ، اتخذت السلطات في غزة تدابير خاصة بها لخفض المصروفات ، حيث تقرض حكومة هنية نسبة 5 في المائة ضريبة رسم إضافي، تستقطعها من المرتبات التي تدفعها لثمانية عشر ألف موظف لتغطية نفقات الحكومة على برامج الرعاية الاجتماعية.¹⁷⁹ تم خصم 20 في المائة من مرتبات القضاة المعيّنين حديثاً والتي تدفع سلطات غزة مرتباتهم أيضاً.¹⁸⁰ وفي حين أن حكومة حماس ألزمت نفسها بدفع مرتبات مماثلة لتلك التي تدفعها رام الله، إلا أنها حجبت بدلات سبق وأن دفعتها السلطة الفلسطينية، وعينت متطوعين أو مساعدين بمرتبات أقل بكثير من الموظفين العاديين لملاء الوظائف الحكومية الشاغرة.¹⁸¹

سعت حكومة حماس لإيجاد سبل أخرى لتوليد الإيرادات أو خفض المصروفات ، ففي الشهور الأولى بعد الإستيلاء على غزة فرضت حماس كفالة قدرها نحو 400 دولار لمحتجزين مشتبّه في تورطهم في أنشطة معادية لحماس، مثل المظاهرات - ما يعادل متوسط المرتب الشهري لموظفي السلطة الفلسطينية. وبذلك، فإن السلطات استقطبت جزء من مدفوعات حكومة فياض لموظفي القطاع العام والذي شعر بعضهم بالتشتت بين الأوامر المتنافسة الصادرة من غزة ورام الله.¹⁸² أصبح تسجيل وترخيص المركبات مصدر رئيسي للتمويل ، ولحث سكان غزة على الدفع، خفضت السلطات الرسوم وسمحت لأصحاب اللوحات ذات اللون الأخضر والأبيض (التي تميز السيارات المسروقة من إسرائيل) أن يدفعوا من أجل الحصول على لوحات خضراء وبالتالي تصبح مركباتهم قانونية.¹⁸³ وفي إطار مزيد من التشجيع والتصدي لجهود السلطة الفلسطينية لإلغاء رسوم التسجيل قامت شرطة المرور بالإستيلاء على المركبات غير المرخصة، حيث فرضت غرامات باهظة لإستعادتها، وفرضت عقوبات على الرخص منتهية الصلاحية.¹⁸⁴

تتأثر القيادات الإسلامية المتطرفة ضمن صفوف حركة حماس.¹⁷²

٥. الأوضاع الاقتصادية

كان للعقوبات وما ترتب عليها من إنهيار القطاع الخاص¹⁷³ أثر كبير. لكن، وبالرغم من الحالة الاقتصادية الصعبة التي يواجهها سكان قطاع غزة، هناك عدة عوامل مخففة حالت دون وقوع إنهيار كامل.

أولاً ، وعلى الرغم من العداء ، لا تزال حكومة فياض هي المساهم الأكبر في دفع المرتبات في غزة. فهي بالفعل قامت بدفع أجور يبلغ إجماليها في الشهر كما تقول 94 مليون دولار - 77 ألف موظف في السلطة الفلسطينية في غزة معيّنين قبل ديسمبر 2005 - عن طريق تحويل الأموال مباشرة إلى الحسابات المصرفية الخاصة بالموظفين.¹⁷⁴

بالرغم من أن ما يقرب من نصف القوة العاملة في غزة يتلقون رواتبهم من الحكومة فإن هذا يعد مصدر دعم رئيسي لا غنى عنه.¹⁷⁵ ومن المفارقات أن إستيلاء حماس على غزة قد سهل عملية دفع الرواتب ، فولا وجود حكومة خالية من حماس في رام الله لم تكن إسرائيل لتستأنف تحويلات الجمارك التي أنعشت خزائن السلطة الفلسطينية. فلأول مرة منذ تولت حماس الحكم في مارس 2006، تلقى موظفي القطاع العام رواتبهم كاملة، بالإضافة إلى بعض الرواتب المتأخرة.¹⁷⁶ تدفق رؤوس الأموال في القطاع العام وإنهيار القطاع الخاص عكس الأوضاع القائمة قبل الإستيلاء.¹⁷⁷

ثانياً، الجهات المانحة، وعلى رأسها وكالة الأمم المتحدة للاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، استمرت في دفع أكثر من 400 مليون دولار سنوياً لتغطية مشاريع الرعاية الاجتماعية.¹⁷⁸ وللتعويض

¹⁷² مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أعضاء المجتمع المسيحي والدبلوماسيين الغربيين، مدينة غزة والقدس، أكتوبر 2007 وفبراير 2008.
¹⁷³ "كنت أدفع ضريبة الدخل عن 30 موظف، لكن الآن تم الإستغناء عنهم. الآن أدفع لثلاثة فقط: عن نفسي وإبني وإبن أخى"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد رجال الأعمال، مدينة غزة، ديسمبر 2007.
¹⁷⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤولي فتح وحماس، رام الله ومدينة غزة، ديسمبر 2007.
¹⁷⁵ 47 في المائة من القوة العاملة في غزة تعمل في القطاع العام، بالمقارنة مع 17 في المائة من القوة العاملة في رام الله، سمير هليلية، "New Realities", Palestine-Israel Journal, vol. 14, no.3 (2007).

¹⁷⁶ "يوجد استقرار في مرتبات الحكومة لأول مرة منذ 18 شهر. حال موظفي القطاع العام على ما يرام"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد كبار المصرفيين، مدينة غزة، أكتوبر 2007.
¹⁷⁷ "دائماً ما يقدم نصف سكان غزة معونة مالية للنصف الأخر"، هليلية، "New Realities", op. cit.

¹⁷⁸ أنفقت وكالات الأمم المتحدة في غزة أكثر من 350 مليون دولار في 2008، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول معونة دولي، القدس، مارس 2008. ميزانية وكالة الأمم المتحدة للاجئين، الأونروا وحدها تقدر بـ 325 مليون دولار لعام 2008/2009 لدعم أكثر من 11 ألف موظف. انظر: www.un.org/unrwa/finances/pdf/ProgBudget08-09.pdf.

¹⁷⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أكاديمي فلسطيني، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

¹⁸⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع قاضي، دير البلح، فبراير 2008.

¹⁸¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع احد مسؤولي حماس، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁸² يصف موظفي السلطة الفلسطينية الوضع بأنه حلقة مفرغة: "إذا لم تؤيد الاحتجاج، تأخذ فتح راتك، وإذا أيدته، تأخذ حماس"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظف في السلطة الفلسطينية، خان يونس، سبتمبر 2007.

¹⁸³ في نوفمبر 2007، تم تخفيض رسوم ترخيص السيارة العادية إلى النصف لتصبح 200 دولار. خلق إستيراد آلاف الدراجات البخارية الصينية إلى غزة خلال فترة إختراق جدار رفح في يناير 2008 مصادر جديدة للدخل (هددت السلطات بمصادرة المركبات غير المرخصة). مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول في وزارة النقل، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁸⁴ "أقول للناس ألا يدفعوا، لكن توقف قوات حماس السيارات في الشارع وإذا لم يكن لدى السائق رخصة، تأخذ سيارته. الرئيس ليس موجود في غزة لكي يوفر الحماية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول في السلطة الفلسطينية، دير البلح، سبتمبر 2007.

بلديات كانت تدار من قبل بواسطة حركة فتح وشنت حملة لدفع الضرائب المحلية وفواتير المرافق وغيرها من الرسوم.¹⁹² قام المسؤول الإداري الجديد في بلدية مدينة غزة بتشكيل "محاكم البلديات" لمقاومة المتعثرين عن الدفع.¹⁹³ صادرت وزارة الداخلية أصول موظفي السلطة الفلسطينية، ومنهم مجموعة من الجمعيات ومؤسسة خيرية وهي المركز الفلسطيني للموارد الإنسانية، الذي تتأسسه زوجة مدير الأمن السابق في السلطة الفلسطينية محمد دحلان والذي كان يدير مستشفى ومركز طلاب وروضة أطفال.¹⁹⁴ صادرت وزارة الداخلية ممتلكات السلطة الفلسطينية التي كانت في أيدي موظفيها الموليين لحكومة فياض، بما في ذلك السيارات والتي يقال أنها باعها أو فككتها وأرسلتها في طرود إلى الموليين إلى فتح.¹⁹⁵ كما استأجرت حكومة حماس أراضي زراعية كانت في السابق عليها مستوطنات، بما في ذلك الصوبات الزجاجية.¹⁹⁶

رابعا، يقدر المراقبون الأجنيون أن المنح الأجنبية تمثل مصدر كبير من إيرادات حكومة حماس والجناح العسكري التابع لها وذلك بالرغم من صعوبة تتبع هذه المنح.¹⁹⁷ تزعم إيران أنها قدمت مساهمات كبيرة¹⁹⁸ حيث أوفدت حماس كبار أعضائها إلى

ولمواجهة تخفيض السلطة الفلسطينية للضرائب على سكان غزة، مارست سلطات حماس الضغط على الشركات والموظفين العاملين لوكالات المعونة التي تدعمها الجهات المانحة لدفع الضرائب المحلية.¹⁸⁵ وبعد أن رفضت شركة الاتصالات الفلسطينية (Paltel) دفع الضرائب أمرت السلطات في نوفمبر 2007 بتخفيض 75 في المائة من رسوم الهاتف.¹⁸⁶ إدعى أحد وزراء الحكومة أنه نتيجة لهذه التدابير، ارتفع دخل الحكومة إرتقاعاً حاداً في الربع الأخير من عام 2007.¹⁸⁷

ونتيجة للقيود المالية التي فرضتها حكومة فياض والعقوبات الدولية فإن معظم البنوك في غزة قطعت العلاقات مع حكومة حماس.¹⁸⁸ ورداً على ذلك الإجراء قامت حماس بخلق الآليات المالية الخاصة بها. وبحلول شهر سبتمبر 2007، كانت حماس قد حولت مكتب البريد إلى المقاصد المركزية لدفع فواتير الرواتب الخاصة بها وغيرها من النفقات. وكمتسورد كبير للدولارات (المهربية) زادت حماس من الرقابة على أسواق المال في قطاع غزة مستفيدة بذلك من التقلبات الكبيرة في أسعار الدولار.¹⁸⁹ وفي محاولة أخرى منها لتنظيم الإقتصاد الرسمي أنشأت حماس مكاتب الجمارك بالقرب من معابر صوفا وكيريم شالوم لتفرض ضرائب على البضائع الوافدة.¹⁹⁰

وبالإضافة إلى ذلك، تولت سلطات غزة شئون أصول ومؤسسات السلطات الفلسطينية التي تورد إيرادات مثل المحاكم التي تولد رسوم قانونية تمثل واحد في المائة من الدعاوى.¹⁹¹ وفي شهر نوفمبر عام 2007، عينت حماس إداريين جدد في

¹⁹² بلديات السلطة الفلسطينية هي المسئولة عن تحصيل فواتير الخدمات العامة. "تحاول رفع الضرائب البلدية وتحصيل 40 مليون دولار من المدفوعات المتأخرة على عائدات المياه والمرافق وتراخيص البناء. لم يتم تحصيل أي شيء لمدة شهور، لكن في غضون أول عشرة أيام بعد أن تسلمنا البلدية، جمعنا 300 ألف شيكل (80 ألف دولار)"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عماد صيام، مدير عام بلدية مدينة غزة المعين بواسطة حماس، مدينة غزة، ديسمبر 2007. إن تدعيم البلدية برأس مال من الجهات المانحة وذلك لدعم برنامج إدارة المياه الساحلية، وميزانية سنوية تبلغ 60-80 مليون شيكل (16-21 مليون دولار) زاد من العزيمة للإستيلاء على غزة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مستشار العمدة ماجد أبو رمضان، مدينة غزة، ديسمبر 2007. قال سكان غزة أن السلطات قطعت وصلات المياه الرئيسية لعدم سداد الفواتير، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁹³ قامت البلدية بتعيين قاضي ومدعين لكنها لم تعقد جلسة بعد، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عماد صيام، مدينة غزة، مارس 2008. يزعم آخرون أن حماس جمعت الإيرادات عن طريق التهديد بالقوة. "لا توجد غرامات ولا محاكمات. يدفع الناس لخوفهم"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مسؤول في السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

¹⁹⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول إداري في مستشفى لإعادة التأهيل تم تعيينه من قبل حماس، مدينة غزة، أكتوبر 2007. ¹⁹⁵ على سبيل المثال، في نوفمبر 2005، صادرت الشرطة ستة سيارات خاصة بالبلدية تبرعت بها بعثة معونة أوروبية لبلدية محافظة متوسطة، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع دبلوماسي أوروبي، القدس، ديسمبر 2007. كما صادرت الشرطة سيارات عمدة غزة التابع للسلطة الفلسطينية ماجد أبو رمضان ونائبه، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مستشار العمدة، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

¹⁹⁶ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤولين من وزارات التخطيط والنقل والعمل، مدينة غزة، حريف 2007.

¹⁹⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع دبلوماسي غربي، القدس، ديسمبر 2007. "يأتي تمويل حماس من مصدرين: الضرائب والأموال التي توفرها هيكل حماس خارج فلسطين"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسؤولي حماس في المنفى، نوفمبر 2007.

¹⁹⁸ تحصلت حماس على تمويل إيراني أكثر، الجزيرة، 6 مارس 2007. قال رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل: "تتلقى تمويل من مصدر [حكومي] واحد، وهو إيران. الدول العربية لا تدفع شيئاً لتساعد به الشعب. التمويل من الدول المانحة يذهب للأغراض السياسية وليس لمساعدة الشعب

¹⁸⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظف معونة، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁸⁶ هددت السلطات بهدم 20 من اللاقطات غير المرخصة أقامتها شركة "جوال" للمحمول. وأوقفوا تنفيذ كلا من الاجرائين بينما استمرت المناقشات بشأن الضرائب. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مدير شركة اتصالات سلكية ولاسلكية ومسئول في وزارة الاتصالات، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁸⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع زياد ظاظا، وزير الإقتصاد الوطني في حكومة حماس، مدينة غزة، فبراير 2008.

¹⁸⁸ "لحماية أنفسنا من العقوبات الاقتصادية الدولية، نحن لا نتعامل مع السلطات في غزة، ومنذ الإستيلاء على غزة منعنا حكومة غزة من الإطلاع على حسابات القطاع. موقف البنك هو أن حكومة رام الله هي الحكومة الشرعية. فهمت حماس أننا لا نستطيع الاستمرار في علاقتنا بها وبالمجتمع الدولي. كان علينا الاختيار"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد كبار المصرفيين، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

¹⁸⁹ التقلبات في سوق الأوراق المالية أدت إلى تباين كبير بين سعر الصرف في غزة وفي إسرائيل والصفة الغربية. "حماس يمكن لها ان تبني دولارات جلبتها من خلال الاتفاق بمعدل أعلى. حماس لديها الكثير من النقود، وتستفيد من السياسة الإسرائيلية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول مالي غربي، القدس، ديسمبر 2007. يزعم البعض أن حماس "تقتسم الأرباح مع الصرافة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول اقتصادي في السلطة الفلسطينية، رام الله، ديسمبر 2007.

¹⁹⁰ زيارة قامت بها مجموعة الأزمات الدولية، أكتوبر 2007. "طالبت مكاتب الجمارك الخاصة بهم أن يقدم التجار فواتير لتحديد مبلغ الضريبة الذي ينبغي دفعه"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد أعضاء الغرفة التجارية في غزة، مدينة غزة، مارس 2008.

¹⁹¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع كاتب محكمة، مدينة غزة، فبراير 2008. "إذا لم تدفع الرسوم فلن يتم النظر في القضية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد المحامين، مدينة غزة، فبراير 2008.

نقدياً وعينياً.²⁰⁴ وقبل خرق جدار رفح ، يقال أن حماس كانت تجمع الملايين من الدولارات شهرياً على شكل ضرائب على السجائر.²⁰⁵ يقول رجل أعمال في رفح: "تضع حماس أفراداً عند مداخل الأنفاق لجمع الإيرادات، جزء كبير من فواتير المرتبات تدفع من الضرائب التي يجمعونها هناك".²⁰⁶ لم يؤدي توسيع اقتصاد الأنفاق إلى زيادة في الإيرادات فقط وإنما أدى أيضاً إلى تقليل الاعتماد على إسرائيل ، وهذا كان يمثل أحد أهداف حماس قبل الإنتخابات.²⁰⁷

ومع ذلك، وبالرغم من تنازل السلطة الفلسطينية عن الضرائب في غزة في يونيو 2007، إلا أن البعض يزعم أن إيرادات الضرائب الداخلية زادت تحت حكم حماس.²⁰⁸ بفضل هذه الإيرادات، تقول السلطات أنها إستطاعت أن تدفع في الوقت المناسب فاتورة مرتبات متزايدة تقدر بـ12 مليون دولار وفي الوقت نفسه قامت بتمويل النفقات المنفصلة لجناح حماس العسكري.²⁰⁹ وفي شهر مارس 2008، قامت حماس بتمويل مصاريف إصلاح المنازل المتضررة من الهجمات الإسرائيلية.²¹⁰

وبالرغم من هذه المسكنات ، يعيش سكان غزة في ظل ظروف من الفقر المدقع ، حيث أنهم معزولين عن العالم الخارجي مادياً وإقتصادياً - وهذا تدهور إنساني لا يمكن أن يستمر. وكرد فعل سعت حماس لإيجاد سبل لاستعادة أشكال التبادل التجاري المعطن ، حيث قامت حماس لعدة شهور بالبحث في إمكانية خرق هذا الحصار الخارجي عن طريق التركيز على أضعف نقطة ممثلة

شبه الجزيرة العربية لجمع التبرعات.¹⁹⁹ ووفقاً للتقارير تم توجيه العائدات إلى ميزانية الحكومة بعد أن كانت مخصصة للجمعيات الخيرية التابعة لحماس، التي مازالت تمثل حتى هذه اللحظة العمود الفقري للحركة.²⁰⁰ ويقال أيضاً أن حماس أحكمت قبضتها على لجان الزكاة في غزة التي تتلقى وتوزع التبرعات، حيث سعت لفرض 2.5 في المائة كضريبة صغيرة على سكان غزة الذي يزيد دخلهم عن ألف دينار أردني (1400 دولار).²⁰¹

خامساً والأهم من ذلك قامت حماس بعمليات تهريب واسعة من خلال الأنفاق بين مصر وغزة ، ففي غضون أسابيع بعد الإستيلاء على غزة كان جناحها العسكري يشرف على معظم شبكة الأنفاق التي تمتد تحت ممر فيلادلفيا والذي كان يدار في السابق من قبل قبائل مختلفة. ويقول مراقب مطلع أن عدد الأنفاق المنتعشة إقتصادياً قد إرتفع من 15 نفق في شهر يونيو 2007 إلى 120 نفق في شهر مارس 2008.²⁰² وتكون السيطرة على هذه الأنفاق في بعض الأحيان غير مباشرة حيث تقوم جماعات غير تابعة لحماس بعمليات تهريب لكن تقوم حماس بعد ذلك بفرض ضريبة على بعض السلع. أغلقت حماس أنفاق لم يقم المسؤولين عنها بدفع الرسوم الجديدة أو تم ضبطهم وهم يتاجرون في الممنوعات أو الأسلحة مع جماعات غير تابعة لحماس.²⁰³ تم دفع الضرائب المفروضة على انتهاك الجزاءات

بواسطة مهربين رفضوا دفع الضرائب، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، رفح، سبتمبر 2007.

²⁰⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع كبير عشيرة أبو سميدهان، رفح، نوفمبر 2007، ومسئول معونة محلي، رفح، سبتمبر 2007. "نأتي بالسجائر، ومحركات السيارات والأسمدة والأدوية بما في ذلك الفياجرا"، نقل نضال المغربي عن أحد المهربين، "Gazans Dig for Profit"، رويترز، 8 أكتوبر 2007.

²⁰⁵ في أواخر عام 2007، كانت علية السجائر التي تباع بدولار في مصر، تباع بـ 8 دولارات في غزة. يقول التجار أن حماس قد تجمع في بعض الأحيان مئات الآلاف من الدولارات يومياً أو ملايين الدولارات شهرياً على هيئة ضرائب على السجائر. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد رجال الأعمال، رفح، ديسمبر 2007. قال نبين براون أن حماس "تزعّم أنها صاحبة الأيديولوجية الإسلامية والدستورية السليمة لكنها تمول نفسها عن طريق فرض ضرائب على التهريب والردائل".

²⁰⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، رفح، أكتوبر 2007. يقال أن قوات حماس أقامت نقاط تفتيش منتقلة عند مخارج الأنفاق، واعتقلت المهربين الذين وصلوا بالضائع، وأخذتهم إلى محطة رفح لدفع الرسوم الجمركية وهددت بمصادرة سلعهم إذا لم يدفعوا، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئولين في الأمن المصري، مارس 2008.

²⁰⁷ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محمود الزهار، مدينة غزة، ديسمبر 2005، ووزير الاقتصاد الوطني زياد ظاظا، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

²⁰⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول مالي في السلطة الفلسطينية، رام الله، مارس 2008.

²⁰⁹ أرقام وردت في خطاب رئيس الوزراء هنيه في مسجد مخيم الشاطئ، حضرته مجموعة الأزمات الدولية، 11 أكتوبر 2007، ومقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رئيس الشرطة توفيق جابر، مدينة غزة، ودبلوماسي أوروبي، القدس، ديسمبر 2007.

²¹⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، رفح، مارس 2008.

الفلسطيني"، الحقيقة الدولية (جريدة إسلامية مصرية اسبوعية)، فبراير 2008. وزعم مسئولو السلطة الفلسطينية أنه منذ الإستيلاء دفعت إيران ودول الخليج الأخرى بما يتراوح بين 150 و 200 مليون دولار لحكومة حماس، بالإضافة إلى مبالغ كبيرة دخلت غزة خلال اختراق حدود رفح في يناير 2008، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئولى السلطة الوطنية، رام الله، مارس 2008.

¹⁹⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظف معونة في جمعية الصلاح الخيرية، دير البلح، ديسمبر 2007.

²⁰⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في مؤسسة "دعوة"، حامد لهمين، مدينة غزة، أكتوبر 2007. حسب مؤسسات دعوة فإن إنتهياراً قد حدث في الإيرادات بعد الإستيلاء. وفقاً للتقارير انخفض توزيع زكاة المال في المجمع الإسلامي في غزة، مؤسسة الاخوان المسلمين التي أسسها أحمد ياسين، من 300 ألف دولار في 2006 إلى 100 ألف دولار خلال شهر رمضان عام 2007. "تسجل أسماء المحتاجين ونقول لهم أن ينتظروا"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مدير المجمع الإسلامي، مدينة غزة، فبراير 2008.

²⁰¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، رفح، نوفمبر 2007.

²⁰² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب محلي، رفح، مارس 2008. قادت قوات الأمن الوطني معظم العمليات، وكان قائدها حسين أبو عثر، من عائلة من البدو في رفح لها صلات متداخلة عبر الحدود، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع ضابط سابق في قوات الأمن الوطني، مدينة غزة، أكتوبر 2007. وكان نشاط الأنفاق أصبح واسع النطاق لدرجة أنه قبل اختراق الجدار في يناير 2008، انخفض سعر إيجار ليلة في الأنفاق من عشرات الآلاف من الدولارات قبل الإستيلاء إلى حوالي 5 آلاف دولار، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع كبير عشيرة أبو سميدهان، رفح، نوفمبر 2007، ومسئول معونة محلي، رفح، سبتمبر 2007.

²⁰³ "إذا لم يدفع المهربين الضرائب، تدمر حماس أنفاقهم"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، رفح، أكتوبر 2007. "إننا نغلق الأنفاق عندما تستخدم في المخدرات أو لدعم أسلوب حياة فاسد"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولى حماس، رفح، أكتوبر 2007. استخدمت حماس جرافات البلدية لتدمير أنفاق كانت تستخدم في السابق من قبل سامي أبو سميدهان، قائد فتح في غزة قبل الإستيلاء عام 2007. ويقال أيضاً ان حماس قد أعطت مصر معلومات عن اتفاق تدار

حيث قرروا مهلة مدتها 24 ساعة لفتح معبر رفح بعد ذلك سيقوموا بتفجير الجدار الجنوبي كله.²¹⁷

وبعد ذلك بيومين تجمع الآلاف من النساء عند معبر رفح ، مما دفع القوات المصرية لرشهم بخراطيم المياه وقوات حركة حماس إلى اطلاق النار في الهواء.²¹⁸ بعد منتصف الليل بقليل في 23 يناير ، بدأت حركة حماس في تفجير المواد المتفجرة التي زرعتها على طول الجدار التي سبق أن قامت بإحداث فجوات فيه وقامت الجرافات بإنهاء المهمة.²¹⁹ تدفق سكان غزة الذين حصلوا على رواتبهم مبكراً وإعانات البطالة من خلال الثغرة وقاموا بشراء مخزوناتهم في مصر.²²⁰ لقد قاموا بشراء موارد أساسية كانوا قد حرموها منها في الماضي مثل البنزين، والملابس، والمولدات الكهربائية والأسمت بالإضافة إلى سلع أكثر رفاهية مثل الشوكولاتة والدراجات النارية والمواشي ، وهي صورة إستحوذت على إهتمام الجماهير العالمية، بما فيها الغربية، التي إستطاعت أن تتفهم حقهم غير القابل للتصرف في التسوق".²²¹

تحول ممر فيلاديلفيا الذي كان لبعض الوقت ساحة معركة إلى بازار كبير. و عبرت إلى غزة قوافل المعونة القادمة من دول الخليج العربي، مهربين من سيناء، سياسيين ومقاولين مصريين وإسلاميين يبحثون عن خرده معدنية.²²² وللمرة الأولى منذ إنسحاب إسرائيل من سيناء في 1982 ، قام سكان غزة بالتفيس عن أنفسهم بعبور حدودهم الجنوبية بحرية. يقول رجل أعمال من غزة: "معظم سكان غزة لم يغادروا القطاع أبداً. كان هذا أمر ليس بهين".²²³

في الحدود مع مصر. ففي شهر أكتوبر 2007، إستخدمت حماس موافد اللحم لإحداث فجوات في جدار حديدي بنته إسرائيل قبل الإنسحاب عام 2005 ويبلغ إرتفاعه خمسة أمتار يمتد على طول الحدود الجنوبية لقطاع غزة كما قامت بإختراق المتاريس الإسمنتية. وبذلك سيطرت حماس على ممر فيلاديلفيا، وهي منطقة عازلة تفصل غزة عن مصر يبلغ عرضها 100 متر.²¹¹ وأقامت قوات حماس المتمركزة داخل الممر إتصالات مع حرس الحدود المصري من خلال الهاتف المحمول.²¹²

وفي الأسابيع اللاحقة شنت حماس حملة عامة لإعادة فتح حدود غزة مع مصر، تفاوتت بين الإستغاثات الإنسانية والضغط العسكري.²¹³ فعلى سبيل المثال كانت رحلة الحج السنوية إلى مكة فرصة لإختبار العزيمة المصرية: بعد وضع مئات الحجاج في الأتوبيسات عند بوابات رفح، نظمت حماس صلاة جماعية عند البوابة المغلقة تم بثها تليفزيونياً في جميع أنحاء المنطقة. يقول أحد مسئولى حماس محذراً: "الحج مسألة حساسة. لا يمكن أن ينظر الى مصر على أنها تعطل الحجاج"،²¹⁴ وفي غضون أيام كان حرس الحدود المصري قد سمح لـ2000 فرد بالعبور. وبالرغم من الإحتجاجات الإسرائيلية، سمح لهم بالعودة بنفس الطريقة.²¹⁵ تلى ذلك مظاهرات قام بها الطلاب ، والمرضى ، والبرلمانيين ، والنساء اللاتي يسعين إلى سبيل للخروج من غزة.

وعندما أعلنت إسرائيل فرض الحصار التام في 18 يناير 2008 رداً على زيادة عمليات إطلاق الصواريخ على سديروت، أحست حماس أن هناك فرصة جديدة. وفي محاولة منها لإثارة الإحتجاج المحلي والإقليمي والدولى على إنقطاع التيار الكهربائى الناتج عن وقف إسرائيل لإمدادات الوقود²¹⁶ عقد الجناح المسلح لحركة حماس والميليشيات الحليفة له مؤتمراً صحفياً في وقت متأخر من الليل في 20 يناير حضره مسئولين من الأمم المتحدة المحليين

²¹¹ زيارة قامت بها مجموعة الأزمات الدولية إلى جدار رفح، أكتوبر 2007.
²¹² "يقوم المصريون بالتنسيق التام مع حماس من خلال معبر رفح. تبعد قوات حماس عن القوات المصرية مسافة خمسة أمتار. كل طرف يعرف أرقام الهواتف المحمولة الخاصة بالطرف الآخر كما لديهم منسقين"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، رفح، أكتوبر 2007.

²¹³ على سبيل المثال، في 29 ديسمبر 2007، قام 500 من مقاتلى لجان المقاومة الشعبية والجهاد الاسلامى باطلاق النار في الهواء على مظاهرة عند معبر رفح؛ تم تفجير قنبلتين من قبل مقاتلى لجان المقاومة الشعبية بالقرب من جدار الحدود، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، رفح، ديسمبر 2007.

²¹⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد كبار مسئولى حماس، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

²¹⁵ طالب المسئولون الاسرائيليون أن يعود الحجاج عن طريق المعبر الحدودي الخاص بهم لتفتيشهم بحثاً عن أي أموال قد يكونوا جلبوها من الخارج. مع ذلك، قال كبار المسئولين المصريين لمجموعة الأزمات الدولية أن اسرائيل تجاهلت طلباتهم المتكررة للسماح بحجاج مكة عبور معبر كيريم شالوم الاسرائيلى بدون تأخير غير مبرر، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، القاهرة، 15 يناير 2008.

²¹⁶ اندلعت بعض الوقفات الإحتجاجية الصغيرة والإضرابات فى الضفة الغربية وشرق القدس، بالإضافة إلى القاهرة وعمان تضامناً مع غزة. فى احتجاج بشرق القدس شهدته مجموعة الأزمات الدولية، كتب على اللافتات أن "مليون مسلم تحت الحصار ... أين انتم يا حكام العرب؟ غزة تغرق فى القهر"، القدس، 22 يناير 2008.

²¹⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفى فى غزة،

يناير 2008.

²¹⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفى أجنبى فى الموقع،

القدس، يناير 2008.

²¹⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، رفح،

يناير 2008.

²²⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، مدينة غزة،

فبراير 2008. نقل عن متحدث باسم حماس انه قال أن الحكومة دفعت مرتبات

16 الف موظف حكومي مبكراً وأعطت راتب لـ 8500 مزارع لتسهيل عملية

التسوق، هارنس، 24 يناير 2008.

²²¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفى غربى يقوم بتغطية

صحفية فى رفح، القدس، يناير 2008.

²²² يديعوت احرونوت، 28 يناير 2008.

²²³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، فبراير 2008.

III. التعامل مع المعارضة الداخلية

الفلسطينيين. عليه أن يخدمنا جميعاً وليس فقط الضفة الغربية. لماذا يجب أن أكون وقود النار التي يشعلها ضد حماس؟"²²⁹

ولكن حركة حماس تحملت اللوم على وجه التحديد لكونها تحملت عبء إدارة غزة. حتى أعضاء حماس تحدثوا عن عدم إرتياحهم. وعندما طلب من أحد ناشطي حماس أن يسرد إنجازات العصر الجديد قال: سقوط النظام الفاسد وهروب قاداته وتحسين الأمن؛ مساواة أكبر بعد الإذلال وإحتواء أمراء الحرب القبائليين؛ وحملة أخلاقية طهرت غزة من الخمرور والعاشرات.²³⁰ لكن في مقابل هذه الانجازات قام الناشط بسرد أشياء أخرى مثل الحصار المتزايد وإرتفاع معدلات الفقر والبطالة وإنهيار البنية التحتية وعدم القدرة على رؤية نهاية في الأفق. إترف أن سكان غزة يدفعون ثمن الإستيلاء :

الناس تلوم حماس - حيث يقولون "أنتم أعلنتم مسؤوليتكم عن حياتي وجلبتم علينا الكوارث. لا تستطيع حماس حل مشاكل الناس". يخافون من إستمرار هذا الوضع حتى تقبل حماس مبادئ اللجنة الرباعية.²³¹

كما أن فرض الضرائب غير المباشره زاد من الإحساس بالإستياء. أصبح بعض أهل غزة ينظرون لنخبة حماس على أنهم يخدمون مصالحهم الشخصية بشكل متزايد وماديين وعرضة لنفس بهارج المنصب - السيارات والقصور والمكاتب المفروشة بإسراف.²³² - التي إستشهد بها حماس كدليل على فساد فتح.²³³ قال مسؤول سابق في السلطة الفلسطينية:

تفقد حماس قيمها. إنها تدعي المقاومة ولكن ليس هناك مقاومة وتدعو الى القيم الإسلامية ، لكنها تتخلى عن حملتها لمكافحة الفساد، وتتصرف فيما يخدم مصالحها الذاتية. يرتقى الرجال إلى رتبة جنرال حتى هؤلاء الذين قام [الرئيس الراحل ياسر] عرفات بفصلهم لفسادهم. يجب أن تحاسب حماس.²³⁴

بالرغم من أن الفجوة في الجدار كانت ضرورية لتخفيف الضغوط الداخلية ، فإن منظر الأسلاك الشائكة وهي تسد هذه الفتحات وقيام إسرائيل بقطع الوقود والكهرباء مرة أخرى قد خفضت من الفرحة القصيرة وأعدت سكان غزة للواقع. الإعجاب بقدرة حماس على إغتنام المبادرة وتوفير سلع مختلفة لسكان غزة تضارب مع القلق من ثمن تهورها. تساءل البعض، داخل وخارج حماس، عن حكمة الإختراق الذي أدى إلى مواجهة مع الجنود المصريين²²⁴ وأضر بالعلاقات بين حماس والقاهرة.²²⁵ يقول أحد رجال الأعمال متذمراً: "كان ذلك حل سطحي، وليس حل حقيقي".²²⁶ وانتقد آخرون جهود حماس في تحويل إقتصاد غزة في إتجاه مصر. وخاف رجال الأعمال من فقدان السوق الإسرائيلية، وإنقدوا الخطط الهادفة إلى تحويل روابط غزة التجارية الرئيسية من إقتصاد دولة تنتمي إلى العالم الأول إلى إقتصاد دولة تنتمي إلى دول العالم الثالث.²²⁷

وبوجه عام فعلى الرغم من أن سكان غزة ينسبون الفضل لحماس في إدخال تحسينات أمنية حقيقية وغير مسبوقه كما يفخر العديد منهم بصمود حماس تحت ضغط الحصار إلا أن هناك إستياء من تكتيكاتها العنيفة وعدم قدرتها على الإيفاء بالإحتياجات الأساسية. قال موظف معونة فلسطيني: "الناس في غزة مهتمون بكارني من القدس، وبالحصول على الرعاية الطبية أكثر من قبة الصخرة. حالة الاحباط شديدة جداً".²²⁸ وبالتأكيد لا يقع كل - ولا حتى معظم - اللوم على حماس. بالنسبة لكثير من سكان غزة، إسرائيل هي المذنب الرئيسي لأنها فرضت الحصار ؛ والمجتمع الدولي شريكاً لها لأنه يدعمها ؛ والسلطة الفلسطينية مشاركة في الجرم لأنها قبلت به وتخلت عن غزة. قال أحد رجال الأعمال: "يجب على أبو مازن أن يكون رئيساً لجميع

²²⁴ بعد اغلاق المعبر بيوم تبادل مسلحين فلسطينيين والقوات المصرية إطلاق النار على الحدود بين مصر وغزة، مما أدى إلى مقتل شخص وإصابة 59، بما في ذلك 45 من أفراد الأمن المصري، رويترز، 4 فبراير 2008.

²²⁵ في تعليقات نقلتها وكالة أنباء مصر الرسمية، وصف وزير الخارجية أحمد أبو الغيط قتال حماس بأنه "كارتوني" و"هزلي"، رويترز، 7 فبراير 2008. وعندما إستند الحصار مرة أخرى، قال البعض أن أفعال حماس قد إستنفدت النوايا الإقليمية والدولية الحسنة: "بعد أن دمرنا الجدار، لم يعد أحد يريد أن يعرف أي شيء عن محنة غزة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظف معونة فلسطيني، مدينة غزة، فبراير 2008.

²²⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، فبراير 2008.

²²⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في السلطة الفلسطينية، رفح، فبراير 2008. حتى أن الموظفون الذين يعملون في مشاريع مموله من المنح وخطط خلق فرص العمل وتنظيف الشوارع في مدينة غزة قالوا أنهم ربحوا أضعاف أضعاف متوسط أجر المصري، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، فبراير 2008. اعتبر رجال الأعمال أن إنفاق رأس مال غزة في شراء "أشياء لا قيمة لها- سجانر وتبغ الشيشة، وبسكويت منتهى الصلاحية" خطوة غير حكيمة أيضاً، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو الغرفة التجارية، مدينة غزة، فبراير 2008.

²²⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظف معونة فلسطيني، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

²²⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع رجل أعمال موالى لفتح، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

²³⁰ قال أحد قادة حماس في غزة أن من ضمن إنجازات الحركة منذ فوزها في إنتخابات 2006 هو إكتسابها خبرة في الحكم ، والسيطرة على الهيئة القضائية والبلديات، والتي سئسهم في تحقيق مكاسب إنتخابية في المستقبل ، بالإضافة إلى "الكثير من الأسلحة!" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

²³¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد ناشطي حماس، مدينة غزة، أكتوبر 2007. لقراءة تحليل مبادئ اللجنة الرباعية، انظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية حول الشرق الأوسط رقم 54،

Brink، 13 يونيو 2006. *Palestinians, Israel and the Quartet: Pulling Back from the*

²³² ملاحظات مجموعة الأزمات الدولية في غزة، أغسطس - ديسمبر 2007.

²³³ ان التناقض بين حركة حماس في السلطة وخارجها السلطة أدى إلى شيوع بعض نظريات المؤامرة. "استولت حماس على غزة باتفاق دولي لتشويه اسم الإسلام"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع طالب، رفح،

أكتوبر 2007.

²³⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول سابق في السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

التغاضى عنهم. مصادر المعارضة المحتملة الأخرى هي كما يلي:

أ. فتح

حيث أن العديد من أبناء غزة قد صدمهم إستيلاء حماس على القطاع فقد سعت حركة فتح الى الإستفادة من حالة الإستياء الشعبي الوليدة من خلال العصيان السلبي، بما في ذلك الاضرابات غير المرخص لها التي يقوم بها المعلمين والأطباء ورفض دفع الضرائب المحلية عملاً بقرار السلطة الفلسطينية بإلغاء الضرائب على سكان غزة. ظهرت شعارات فتح في جميع أنحاء غزة. تباهى المراهقون بلبس الميداليات المزينة بصورة سميح مدهون، أحد قادة كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح الذي قتل أثناء عملية الإستيلاء على القطاع. علقت أعلام فتح على الطرق العامة ومراكز المدينة وعلى أسطح المنازل في كثير من الأحياء.²⁴¹ يقول أحد مؤيدي فتح بتفاخر: "تستطيع الناس أن تكون أقوى من القوة. من لديه ضمير، فليبقى في بيته ويقاطع حماس. لن تسقط حماس بين ليلة وضحاها، لكنها تفقد دعم الناس لها وهي في تراجع. الناس جوعى. لا تستطيع حماس أن تطعم شعبها".²⁴²

ورافق العصيان السلبي الاحتجاج الشعبي. ففي سبتمبر 2007 طرد المصلون بالقوة شيخ مسجد بخان يونس تم تعيينه حديثاً من قبل حماس.²⁴³ وفرت الاعراس والجنازات أماكن للتجمع للتحايل على القيود التي فرضتها حماس على التجمعات العامة حيث صدحت فيها أغاني فتح الإحتجاجية. ظهرت على زوايا الشوارع ملصقات تعرض صور "شهداء" قتلهم حماس أثناء القتال. أشعل بعض الشباب النار في إطارات السيارات والقوا بالحجارة، وقاموا بإستنزاف قوات حماس القريبة منهم بترديد هتافات "الشبيعة الشبيعة" في إشارة الى صلتهم بإيران. بينما تنتشر الاحتجاجات، ذهب البعض إلى التنبأ بثورة شعبية. حيث قال أحد موظفي السلطة الفلسطينية في وسط قطاع غزة لمجموعة الأزمات الدولية في سبتمبر: "إن مزاج الشعب ضد حماس. هناك إنتفاضة شعبية".²⁴⁴ ففي منتصف شهر أغسطس بدأت الإجتتماعات الأولى في وسط مدينة غزة، تحت غطاء صلاة الجمعة. وفي الثاني عشر من نوفمبر، قامت فتح بتنظيم مظاهرة ضخمة للإحتفال بالذكرى السنوية الثالثة لوفاة ياسر عرفات.²⁴⁵

تكتيكات حماس العنيفة وإحتكارها للسلطة عرضها للنقد. يقول أحد أعضاء فتح كان قد إتخذ موقفاً محايداً أثناء عملية الإستيلاء على غزة: "في البداية دخلوا من أجل دحلان، ثم من أجل فتح، ثم من أجل منظمة التحرير الفلسطينية، ثم لأجل كل من هو ليس حماس".²³⁵ يقول شيخ عشيرة بارز له تاريخ من العلاقات المضطربة مع حماس: "الناس تعبت من حماس، لكننا نعيش تحت الحكم العسكري والناس خائفون".²³⁶ من يبحث من سكان غزة عن علاج لأقاربهم المصابين يتجنب المستشفيات خوفاً من الإعتقال ويبحث عن بدائل أخرى حيث يطلب المساعدة من الأهل أو الجهات المانحة الفصائلية أو الخارجية. وكمؤشر على بأسهم، يشير بعض سكان غزة إلى الحكم الإسرائيلي بحنين ممتعض: "إن الوضع دموى لدرجة أن الناس نسيت أن كان هناك إحتلال إسرائيلي".²³⁷

وبرغم أن إستطلاعات الرأي ليست مؤكدة حيث لم يتنبأ أيها منها بفوز حماس في إنتخابات 2006 فلا يوجد شك على أنه في أعقاب إستيلاءها على غزة خسرت حماس دعم الكثيرين الذين كانوا قد صوتوا لها.²³⁸ فقد عكس فوز الحركة غير العادي في الإنتخابات مزيج من الإغتراب عن حركة فتح والشعور بالغضب من إسرائيل والإيمان بأن الاسلاميين قادرين على تطهير الحكومة وكسر حالة الإحباط الناتجة عن عملية سلام فاشلة وعالم يعطف عليه. فبعد سنتين من الواضح أن حماس مازالت تحتفظ بمركز صلب من الموالين تدعمها المواجهة المجددة مع إسرائيل مقترنة بعملية سلام مجمدة في الضفة الغربية.²³⁹ وعلاوة على ذلك، قد لا تكون فتح كسبت أي شيء - فهي لا تزال منقسمة على نفسها بشكل كبير وينظر إلى قادتها على أنهم يتجاهلون غزة، وأدائها في الضفة الغربية منقوص. لكن في الوقت نفسه، بعض سكان غزة الذين صوتوا لصالح حماس يشككون الآن في إختيارهم السابق.

وفي تقرير سابق، ناقشت مجموعة الأزمات الدولية التحدي الذي تواجهه حماس من قبل العشائر والعائلات، والتي خسرت كثيراً بسبب استيلاء حماس على السلطة في القطاع.²⁴⁰ وخلص التقرير الى انه في حين ان اعادة بناء حماس للسلطة المركزية قد خفض الى حد كبير المجال التي تعمل فيه العشائر، إلا انه لا يمكن

²³⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول سابق في السلطة الفلسطينية، دير البلح، سبتمبر 2007.

²³⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، مايو 2007.

²³⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفي، مدينة غزة،

ديسمبر 2007.

²³⁸ أظهر استطلاع للرأي انخفاض شعبية حركة حماس في غزة من 29,7 في المائة في سبتمبر 2006 إلى 19,7 في المائة في نوفمبر 2007. وأظهر استطلاع آخر أن شعبية حركة فتح في غزة تبلغ 40 في المائة وحماس 20 في المائة.

²³⁹ طبقاً لأحدث استطلاع للرأي أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية

والمسحية، عززت هجمات جيش الدفاع الإسرائيلي الأخيرة على غزة الى جانب حرق الجدار من شعبية حماس وهنية. ويبين الاستطلاع أن هنية تلقى

47 في المائة في الإنتخابات الرئاسية مقابل 46 في المائة لعباس، صحيفة هآرتس، 17 مارس 2008.

²⁴⁰ تقرير مجموعة الأزمات الدولية، Inside Gaza, op, cit.

²⁴¹ تنسب حماس الكثافة إلى مخاوف من أن السلطة الفلسطينية قد تقطع المدفوعات عن المنازل التي لا تعلق أعلام فتح، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولى حماس، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

²⁴² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مؤيد لحركة فتح، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

²⁴³ قال شهود عيان أن حماس ردت بإطلاق النار على المتظاهرين، حيث أصابت 20، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مراقب فلسطيني، خان يونس، ودبلوماسي غربي، القدس، أكتوبر 2007.

²⁴⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع موظف في السلطة الفلسطينية، دير البلح، سبتمبر 2007. ظهرت منشورات تعلن عن وصول الإنتفاضة الثالثة في شكل أسماء جماعات مثل كتائب سميح مدهون.

²⁴⁵ أفادت الجزيرة أنه بالرغم من نقاط التفويض العديدة، اشترك 200 ألف شخص. بينما قام آخرون بتقدير عدد الحاضرين بـ 500 ألف شخص، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب فلسطيني، مدينة غزة،

مرتبات أربعة من موظفيه التسعة²⁵⁰ وفي ظل سعي المسئولون في رام الله المعلى لخفض النفقات فإن موظفي القطاع العام المضربين وهؤلاء الذين يعملون مع حكومة حماس قلقين من إستهداف السلطة الفلسطينية مرتباتهم. وبعد إستيلاء رجال أمن حماس على مكاتب رجال أمن السلطة الفلسطينية أمرتهم الرئاسة بالمكوث في منازلهم حتى يتم إبلاغهم بالخطوة القادمة²⁵¹. ولم يعطى مشروع إقتراح السلطة الفلسطينية لخفض حجم قوات الأمن في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة إحساساً بالطمأنينة²⁵²، كما أن تهديد حماس بأنها ستمنع عودتهم أدى إلى تقاعس إحساسهم باليأس. يقول أحمد يوسف: "إننا لم نفصل أحداً. بل هم فصلوا أنفسهم. بعد سنة أو سنتين لن يكونوا مؤهلين لوظيفة. ينص القانون الفلسطيني على أن أى شخص يتغيب عن العمل بدون إجازة مرضية لمدة 15 يوم سيفقد وظيفته، وسيتم تطبيق القانون"²⁵³.

وشيناً فشيناً، خفت التجمعات حيث تفرقت الحشود بنفس السهولة التي تجمعت بها. أنهت قوات حماس صلوات الجمعة التي كانت تعقد في العراء بضربات العصا؛ وفرقت مئات الآلاف عن طريق سفك الدماء بما أدى إلى مقتل سبعة، وأجهضت تجمع كان مخطط عقده في أول يوم من العام الجديد للإحتفال بتأسيس فتح من خلال عشرات الاعتقالات المستهدفة.

فكرت بعض عناصر فتح في الكفاح المسلح. بما إنها تعمل بسرية تحت قيادة غير منظمة فقد لجأت إلى تكتيكات الإنتفاضة الأولى. وتقول إحدى الكتابات المنقوشة على جدران منزل أحد كوادرها حرق من قبل حركة حماس: "فتح لن تنسى دماء رجالها". قام بعض رجال الأمن في السلطة الفلسطينية الغاضبين بشن معركة ضد حكم حماس باستخدام ذخائر من الواضح أنه تم نهبها أثناء عملية الإستيلاء على غزة وذلك بدون تلقي أية أوامر بذلك من قيادة فتح في القطاع²⁵⁴. وفي التاسع عشر من شهر سبتمبر 2007، قتل أول ضابط من ضباط حماس حين أصيب بالرصاص في مخيم الشاطئ في مدينة غزة. وبحلول شهر أكتوبر، بلغ متوسط الهجمات التي تراوحت بين إطلاق النار من السيارات على مركز الشرطة إلى تفجير مركبات القوة التنفيذية إلى خمسة في اليوم الواحد²⁵⁵. قام المعارضون بزرع قنابل صغيرة في طرود داخل المطاعم.

²⁵⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول فتح، مدينة غزة، فبراير 2008.

²⁵¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع ضابط في قوات الأمن الوطني، مدينة غزة، فبراير 2008.

²⁵² هؤلاء الذين لم يعودوا أفراد في قوات الأمن سيتم "إحالتهم إلى التقاعد" وسيضطرون إلى العمل في القطاع الخاص - والذي أشرف على نهايته في غزة، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في السلطة الفلسطينية، رام الله، مارس 2008. لقراءة دراسات أكثر، انظر World Bank, op. cit.

²⁵³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع احمد يوسف، مدينة غزة، فبراير 2008.

²⁵⁴ يقدر مسئولو الأمن في السلطة الفلسطينية أنه تم نهب 40 في المائة من الذخائر في قواعدهم أثناء عملية الإستيلاء على غزة، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

²⁵⁵ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئولى أمن غربيين، القدس، نوفمبر 2007.

ورغم أن الإقبال أخفى وراءه مجموعة من المصالح والدوائر، إلا أن أعلام حركة فتح إنتشرت بين الحشود.

ومع ذلك، فإن الإقبال كان ضرباً من الخيال بأشكال متعددة حيث أخفى وراءه مشاكل فتح العميقة. إندحارها في عام 2006 وهروب طبقة كاملة من قادتها²⁴⁶ - ترك الحركة في غزة حائرة وحاقدة ومنقسمة على نفسها. بالرغم من إستهزاء سكان الضفة الغربية بهؤلاء القادة لأنهم فروا أثناء القتال في غزة إلا أن سكان غزة وبخوا نظرائهم في الضفة الغربية لأنهم غسلوا أيديهم من مصيرهم وتركوا القطاع بالكامل تقريباً تحت سيطرة حماس. قال مراقب أجنبي في غزة: "بدلاً من الإستفادة من كل ما لديهم مصادر القوة فعل مسئولو السلطة الفلسطينية العكس حيث قاموا بالنأي بأنفسهم بما يحدث"²⁴⁷. وفي مسلسل التنازلات التي قدمتها عن نفوذها إنتصت السلطة الفلسطينية من مرتبات آلاف الموظفين بغزة أحياناً دون سابق إنذار²⁴⁸.

أضرت هذه الإقتطاعات وأعمال الإضراب المستمرة بمعنويات مقاتلين فتح في غزة. أوقفت القيادة - لجنة عليا مكونة من تسعة أعضاء - العمليات أثناء الإحتجاج²⁴⁹. يقول أحد زعماء فتح الفصائليين المحليين أن "معظم الذين يفقدون رواتبهم ينتمون إلى حركة فتح. وأحياناً عندما نقوم بالمظاهرات تدفع رام الله المرتبات ثم تحرم آخرين منها". مشيراً إلى أنه تم إقتطاع

نوفمبر 2007.

²⁴⁶ هرب ما يقرب من 500 رجل بعد الإستيلاء على غزة، بما في ذلك جميع كبار قادة فتح الأربعون ما عدا واحداً فقط. هرب مستشار الأمن القومي السابق محمد دحلان، ومحمد المصري (رئيس المخابرات العامة)، والجنرال مصباح بوهيسى (قائد الحرس الرئاسي في قطاع غزة) وتوفيق أبو خوصه (الناطق باسم حركة فتح) إلى رام الله. وفر آخرون إلى مصر، في بعض الأحيان بواسطة القوارب. وفي الضفة الغربية، تم توجيه تهم الإهمال لسئون شخص سوف تتم محاكمتهم؛ تم تخفيض رتبة بوهيسى إلى رتبة جندي.

²⁴⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقب أجنبي، مدينة غزة، فبراير 2008.

²⁴⁸ من ضمن 32 ألف موظف تم إقتطاعهم من جدول أسماء العاملين التي تدفع السلطة الفلسطينية رواتبهم والذي يضم 170 ألف موظف، 65 في المائة منهم في غزة، بما في ذلك 8 آلاف فرد من افراد أمن حماس تم تعيينهم بواسطة وزارة الداخلية في حكومة هنية السابقة، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في السلطة الفلسطينية، رام الله، مارس 2008. كما قال مقاتلون مسلحون متحالفون مع حركة فتح أن حكومة فياض خفضت رواتبهم. "خفضت حكومة رام الله التمويل إلى [كتائب شهداء الأقصى]، لأنهم يقولون أنهم ضد المقاومة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم كتائب شهداء الأقصى، مدينة غزة، أكتوبر 2007. كما فقد بعض العاملين في مجال تقديم الخدمات دخلهم. في فبراير 2008 سجلت مجموعة لحقوق الإنسان في غزة وقف مرتبات 698 من 2800 موظف حكومة في مجال الصحة، بالإضافة إلى مئات المدرسين، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع منظمة الميزان لرصد حقوق الإنسان، مدينة غزة، فبراير 2008. استهدفت الإقتطاعات موظفين رئيسيين في السلطة الفلسطينية: هؤلاء الذين تم تعيينهم من قبل وزراء حركتي فتح وحماس بعد ديسمبر 2005؛ وهؤلاء الذين خالفوا أوامر الإضراب ليعملوا مع سلطات حماس، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، فبراير 2008. قال مسئول السلطة الفلسطينية أن الهدف الرئيسي كان خفض التكاليف.

²⁴⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع قائد فتح في غزة، مدينة غزة، سبتمبر 2007. ينسب آخرون الاستقالة إلى رغبتهم في أن يبرؤوا ساحتهم من مقتل ضابط من ضباط حماس من قبل مقاتلي فتح لأول مرة منذ الإستيلاء على غزة، مقابلة مجموعة الأزمات الدولية مع دبلوماسي، القدس، سبتمبر 2007.

ب. إسلاميون آخرون

تزايد الفقر والعزلة واليأس يغذى أشكال بديلة للمعارضة، ولا سيما بين سكان غزة الذين نقل أعمارهم عن 16 عاماً وهم يمثلون نصف سكانها.

حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

تعتبر حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية من أبرز الجماعات الإسلامية الأخرى. فقد بدأت كمجموعة منشقة عن جماعة الإخوان المسلمين، وتأسست في قطاع غزة في عام 1981 قبل حماس ونشأت من الإحساس بعدم الرضا عن تردد الإخوان في استخدام العنف.²⁶² وبعبارة أخرى فسبب وجودها - على عكس حماس - هو الكفاح المسلح بدلاً من الإصلاح الاجتماعي، ناهيك عن القيادة السياسية. فليس لديها جناح خيري، ولا قاعدة اجتماعية، ولم تشارك في الانتخابات، وتعتبر الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين هي النخبة المسلحة، وليس خدمة المجتمع.

كما تمثل حركة الجهاد مشكلة صعبة بالنسبة لحماس: فهي على عكس حماس ليس لديها أي مصلحة في حكم غزة وبالتالي فليس لديها الكثير لتخسره في حالة تصاعد الصراع مع إسرائيل. وعلاوة على ذلك، ورغم²⁶³ إختلافاتها الأيديولوجية الطويلة مع جماعة الإخوان المسلمين، إلا أن تاريخها الإسلامي المقاوم جعل من الصعب على حماس أن تطعن في مصداقيتها كما فعلت مع حركة فتح. فهي تشترك مع حماس في الحلفاء (إيران وسوريا) والأعداء كما عبرت أيضاً عن رفضها القوي لعملية أنابوليس. لم تستطيع حماس أن تنبذ قادتها على أساس التكفير أو التعاون أو الفساد كما لم تستطع أن تطعن بسهولة في حقها في إمتلاك واستخدام السلاح والذي يعد صفة مشتركة مع حماس.

وبعد أسابيع من الإستيلاء على غزة إندلج التوتر بين الحركتين علنياً. وعلى أساس أن الوحدة الوطنية الفلسطينية ضرورية، أدانت حركة الجهاد الإسلامي على الفور إستيلاء حماس على غزة. وقال المتحدث باسم الحركة: "نحن نأسف لإختيار حماس هذا الطريق. كان ينبغي ان يكون هناك حوار داخل البيت الفلسطيني. وكان علينا أن ننصب على قتال اليهود وليس قتال أنفسنا. لقد كانت هناك طريقة سلمية لحل النزاع".²⁶⁴ وبعد فترة وجيزة، دعت حماس لدعم مبدأ وقف إطلاق نار متبادل مع إسرائيل. ورداً على ذلك، قال أحد مقاتلي الجهاد لمجموعة الأزمات الدولية: "لا تستطيع كتائب القدس [الجناح العسكري لحركة الجهاد] أن تتحدث عن تهدئة طالما إسرائيل مستمرة في فرض الحصار وممارسة سياسة الإغتيال ضد الجهاد

وفي الوقت نفسه، يبدو أن البعض تبني إستراتيجية كانت حماس تستخدمها حتى هذه اللحظة ألا وهي إستهداف إسرائيل من أجل إثارة رد فعل، وبالتالي حرمان حماس من فوائد الهدوء والاستقرار. قال أحد ضباط الأمن المضربين بأوامر من السلطة الفلسطينية: "ان يكون هناك تهدئة مع إسرائيل لأن الفصائل لن تقبل هيمنة حماس. لن نستطيع حماس السيطرة على فصائل المقاومة الأخرى".²⁵⁶ ويقول أحد مقاتلي كتائب الأقصى: "سنت حماس هجمات ضد إسرائيل حتى تقوض ياسر عرفات في 1995؛ يمكننا أن نفعل نفس الشيء مع حركة حماس. ستستمر العمليات ضد إسرائيل حتى تتراجع حماس عن ثورتها وذلك بإعادة المقار الأمنية إلى [الرئيس الفلسطيني] أبو مازن ووقف إلقاء القبض على موظفي فتح".²⁵⁷ وتدرك حماس هذه الإستراتيجية: "نحن نعلم أن بعض الصواريخ التي تسقط على إسرائيل يطلقها مقاتلي حركة فتح. والهدف هو دفع إسرائيل لمعاينة حماس في غزة".²⁵⁸

وعموماً، ليس هناك ما يشير الى أن التكتيكات العنيفة أدت إلى تقويض حكم حماس. في حين أن هذه التكتيكات كشفت عن بعض أوجه ضعف حماس - فعلى سبيل المثال، زرع المقاتلون قنبلة خارج مقر كتائب القسام في شارع المخابرات في 5 نوفمبر - إلا إنها لم تؤثر على إضعاف قبضة الإسلاميين. فمع زيادة الهجمات زادت أيضاً الاعتقالات التي طالت السياسيين ورجال الأمن والمشتبه في كونهم متمردين.²⁵⁹ رفض العديد من قادة فتح في غزة فكرة الكفاح المسلح. علق أحد مسئولى فتح: "اللقاء المتفجرات في صفائح القمامة أو تدبير عمليات اغتيال لن يساعد شعبنا بل سيعطى حماس المزيد من الذرائع لتفتيشنا وقهرنا. الهجمات لا تقيد حركة فتح. نحن نعارض العنف لأننا نعارض الحرب الأهلية".²⁶⁰ كما حذر بعض نظرائهم في الضفة الغربية من مخاطر انتقام حماس هناك. فيقول أحد مسئولى حماس أن بعض الأعضاء السابقين الذين يبحثون عن التمويل والغطاء السياسي والمحسوبة "تركوا الفصائل لحزب الله وحماس والجهاد الإسلامي".²⁶¹

²⁵⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول أمنى في السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

²⁵⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مقاتلي الأقصى، مدينة غزة، أكتوبر 2007. وقد أضاف: "كانت حماس منظمة مقاومة؛ هي الآن تقمع المقاومة. حماس الآن وقعت في نفس المعضلة التي وقع فيها أبو مازن".

²⁵⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول حماس في المنفى، نوفمبر 2007.

²⁵⁹ في إققاب موجة من الهجمات في خان يونس في ديسمبر 2007، احتجزت حماس 30 عضو من أعضاء فتح في ليلة واحدة، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مراقب فلسطيني، خان يونس، ديسمبر 2007.

²⁶⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول فتح، غزة،

سبتمبر 2007.

²⁶¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول فتح، مدينة غزة،

فبراير 2008.

²⁶² يقال أن مؤسسها، فتحى الشقاقي، تم طرده من الإخوان المسلمين في 1979 حين كان يدرس في القاهرة لنشره مقال متعاطف مع آية الله الخميني في إيران، وبسبب تأييده للكفاح المسلح في فلسطين،

Tamimi, op. cit. p. 43.

²⁶³ "نظر الجهاد الإسلامي الى فكرة الثورة الإسلامية باعتبارها وسيلة لتعزيز الكفاح المسلح ضد إسرائيل بدلاً من كونها تمهيداً لأسلمة المجتمع"،

Mishal and Sela, op. cit., p.33.

²⁶⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم الجهاد الإسلامي الفلسطيني، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

أصبحت الجهاد أكثر جراءة تجاه حماس. ففي أوائل شهر أغسطس نظمت حركة الجهاد الإسلامي وفتح مسيرة مشتركة حيث حملوا الأسلحة علانية لأول مرة منذ الاستيلاء على غزة. قال أحد مقاتلي الجهاد: "نحن نرفض تسليم أسلحتنا لحركة فتح، أو اليهود، أو حركة حماس حتى لو كنا سندفع ثمن ذلك دماننا".²⁷² وفي حين أن قوات حماس كانت منشغلة بمحاربة عشيرة "حلس" في مدينة غزة، فتح مقاتلي الجهاد الإسلامي جبهة ثانية في رفح، حين أطلقوا النار على ساق أحد كبار قادة حماس العسكريين.²⁷³ انهارت هذات متتالية، تم التوصل لها بوساطة زعماء كلا الفريقين في دمشق، بسبب العداء المتأصل على أرض الواقع.²⁷⁴ قام مسئولو حركة حماس بالتشكيك علانية في مقومات أعضاء الجهاد الإسلامي قلقين من التحدى القادم من تفوقها الديني عليها،²⁷⁵ وشرعوا - أحياناً باستخدام القوة - في السيطرة على مساجدها.²⁷⁶ كما سعت حركة حماس لإلغاء إحتقالات الجهاد بهجمات ضد إسرائيل، حيث صادرت مركبة إسرائيلية إستولت عليها الجهاد لمنع إستخدامها في إستعراضات النصر.²⁷⁷

جماعات إسلامية أخرى

تواجه حماس تحديات من فصائل جهادية أخرى أكثر تطرفاً. يمكن القول ان هذه ليست أكثر من عشائر متتكرة في هيئة جماعات دينية، إلا أن كونهم يستحضرون غطاءً جهادياً فهو مؤشر على أن هذا المفهوم يحظى بدعم جمهور عريض. وهكذا، فإن تنظيم جيش الإسلام، وهو ميليشيا مكونة من عدة مئات من المقاتلين تحت قيادة ممتاز دغمش، كانت تخلط الهوية العائلية بالعقيدة الدينية. فيعد الاستيلاء على غزة قام أتباع دغمش بتحدي مطالب حكومة حماس لإطلاق سراح الصحافي البريطاني آلان جونستون. وفي تعاملها مع التنظيم ترددت حماس في الإختيار بين المواجهة والتسوية حيث قامت بإطلاق سراح جونستون في صفقة سمحت للميليشيا بأن تحتفظ بترسانتها وتحصل على العفو في مقابل تعهدا بعدم إستخدام السلاح إلا ضد إسرائيل.²⁷⁸

واستمرار عملياتها في الضفة الغربية وغزة، وترفض أن تعترف بحق كل لاجئ في العودة إلى وطنه. بدون ذلك، سنوات النضال ضد المحتل".²⁶⁵ أخذت حركة الجهاد زمام المبادرة مرات عديدة (وعانت من الخسائر)²⁶⁶ في شن الهجمات بالصواريخ والتصدي للتوغلات الإسرائيلية. وبعد كل معركة أو عملية إطلاق صواريخ، توزع حركة الجهاد الحلوى على السكان، وتعلن عن انجازاتها في مكبرات الصوت وتمدح شهدائها في إذاعة القدس، الإذاعة الخاصة بها، متحدية بذلك حماس بصفتها الذراع الرئيسي للمقاومة. ويقول متحدث بإسم حركة الجهاد:

نحن نرى ان كتائب القسام قد قللت من دورها بصفتها منظمة للمقاومة. حيث كانت تهاجم إسرائيل لكنها لا تفعل ذلك اليوم. الجهاد اليوم هو طليعة المقاومة. يقترح هنية وكتائب القسام تهديداً، ولكن لا أحد لديه الحق في وقف عمليات المقاومة.²⁶⁷

تفاقت مخاوف حماس من الجهاد الإسلامي بعد زواج المصلحة الذي تم بينها وبين قواعد حماس. أعطى الاستيلاء قوة دفع لعلاقة طويلة الأمد.²⁶⁸ ووفقاً للتقارير فإن بعض أفراد ميليشيات كتائب الأقصى الخائفين من حماس انضموا لصفوف حركة الجهاد، كونها أكثر أمناً لأسلحتهم ومصدر جديد للدعم المادي في وقت كانت تضعف فيه المساعدة القادمة من فتح في الضفة الغربية.²⁶⁹ أعدت الأجنحة المسلحة لكل منهما خطط معارك مشتركة، منها عملية 6 سبتمبر لاختطاف جنود إسرائيليين التي تم إجهاضها.²⁷⁰ وخرجاً على العرف بصفتها نخبة مسلحة سرية أعلنت حركة الجهاد الإسلامي في أكتوبر 2007 أن ألف من أعضاء فتح انضموا لها منذ الاستيلاء على غزة في شهر يونيو مما عزز قواتها بشكل فعلي.²⁷¹

²⁶⁵ أضاف: "لماذا ينبغي على أن ابلغ حماس، ولماذا تلقى حماس القبض على عندما أحارب إسرائيل"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم الجهاد الإسلامي، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

²⁶⁶ في ديسمبر 2007، قتلت إسرائيل 9 من مقاتلي الجهاد، بما في ذلك القائدين ماجد حرازين وكريم دحوج. أكد المتحدث باسم الجهاد أبو حمزة أنه لن يكون هناك هدنة حتى يتم الثأر لمقتل حرازين،

Sydney Morning Herald، 21 ديسمبر 2007. في نفس اليوم، اتصل هنية بصحفي إسرائيلي لإعلان إستعداد حماس وقف إطلاق النار، رويترز، 19 ديسمبر 2007.

²⁶⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

²⁶⁸ كان مؤسسو حركة الجهاد مقاتلين سابقين في فتح، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أكاديمي فلسطيني، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

²⁶⁹ "إنضم مقاتلي الأقصى للجهاد لحماية أسلحتهم"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفى محلي، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

²⁷⁰ قتل أربعة مقاتلين على الأقل في الهجوم، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم كتائب شهداء الأقصى ومرآب مطلع، مدينة غزة، سبتمبر 2007.

²⁷¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم الجهاد، مدينة غزة، أكتوبر 2007. عدد مقاتلي فتح الذين انضموا للجهاد تتراوح ما بين المئات إلى الآلاف، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع ناشط في الجهاد، دبلوماسي غربي، خبير إسرائيلي متخصص في حماس ومرآب محلي، مدينة غزة والقدس، أكتوبر 2007 ومارس 2008.

²⁷² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

²⁷³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفى فلسطيني، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

²⁷⁴ بعد يومين من الاتفاق على وقف إطلاق النار بين الجماعتين، أطلقت قوات حماس النار على أشخاص في جنازة مقاتل من الجهاد قتل في اشتباكات سابقة؛ مما أدى إلى مقتل عضو آخر، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مرآب فلسطيني، مدينة غزة، نوفمبر 2007.

²⁷⁵ "يجب على الجهاد الإسلامي التأكيد من تاريخ كل عضو من أعضائها. قبولها بمن ليس لهم علاقة بالجهاد قد يضر المشروع الإسلامي"، قال محمود الزهار في مؤتمر صحفى في مدينة غزة، أكتوبر 2007، حضرته مجموعة الأزمات الدولية.

²⁷⁶ في أكتوبر 2007، هاجمت حماس مسجد عسقلان في مدينة غزة، حيث كانت تعلو منارته علم الجهاد، مما أدى إلى إثارة اشتباكات. "دخلت حماس عنوة وبدأت تضرب أعضائنا"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، متحدث باسم الجهاد، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

²⁷⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مرآب فلسطيني، خان يونس، أكتوبر 2007.

²⁷⁸ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أمين نوفل، دغموش مختار ودبلوماسي أوروبي، غزة والقدس، أكتوبر 2007.

المصرية حيث قام مقاتلون عرب ذو صلة بتنظيم القاعدة بنقل قاعدتهم من سيناء إلى الشمال.²⁸⁶ وينفي مسؤولي حماس هذه التهمة، رغم أن بعض أعضاء جناح حماس العسكري يقرون أن إسلاميين أجنبيين وصلوا مؤخراً إلى غزة كانوا تحت رقابة مشددة.²⁸⁷ ولاحظت مجموعة الأزمات الدولية وجود زى إسلامي جديد في شوارع غزة يتكون من غطاء رأس أسود وشعر طويل يسمى بزى الزرقاوي، في إشارة إلى الزعيم السابق لتنظيم القاعدة في العراق.²⁸⁸

أعرب قادة حماس عن قلقهم إزاء أن منافسيها الإسلاميين الجهاديين يلقون قبولاً متزايداً في الشارع المحبط، حيث نددوا بفيديو وجهه أبو عمر البغدادي، زعيم التنظيم الذي يطلق على نفسها دولة العراق الإسلامية، والذي حث فيه الجناح العسكري لحركة حماس على الخروج على القيادة السياسية التي تتحالف مع الأنظمة "المرتدة" في سوريا ومصر، بالإضافة إلى حكام إيران الشيعية والانضمام إلى "السلفية الجهادية".²⁸⁹ ومع ذلك، فقد لاحظ المراقبون وبعض أعضاء الجناح السياسي لحركة حماس معارضة متزايدة داخل كتائب القسام ضد قرار حماس دخول المعتزك السياسي والإنغماس في زخارف السلطة السياسية والإستثمار في مؤسسات الحكم التابعة للسلطة الفلسطينية.²⁹⁰

بعد ذلك قام جيش الإسلام بإعادة النظر في إستراتيجيته ولكنه لم يضع حداً لأنشطته العسكرية.²⁷⁹ حيث شن مقاتليه حملة عنيفة ضد ما يعرف بأوكار الرذائل مثل محلات تصفيف الشعر ومحلات المحمول والتصوير ومطاعم الوجبات السريعة والمدارس المختلطة ومقاهي الإنترنت.²⁸⁰ وفي اليوم الذي وصل فيه الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى إسرائيل، تم ضرب المدرسة الأمريكية في غزة بقنبلة صاروخية الدفع (RPG) تقيد التقارير أنها أطلقت من قبل جيش الإسلام.²⁸¹ كما إستهدفت الهجمات المسيحيين أيضاً، فأغلقت مدرسة الكنيسة المعمدانية في غزة بعد مقتل أمين مكتبتها؛²⁸² وفي 15 فبراير 2008 قام مقاتلون يشتبه في إنتمائهم إلى تنظيم دغمش بتفجير لغم أرضي في مكتبة جمعية الشبان المسيحيين حيث قاموا بتدمير 8 آلاف كتاب وهربوا في حافلة مدرسية.²⁸³

تقيد التقارير أن الجماعات الإسلامية المسلحة الأخرى الناشطة في غزة تشمل جماعة سيوف الحق والتي يقال أنها بقيادة أبو سهيب المقدسي، وهو داعية سابق إنشق عن حركة حماس إحتجاجاً على قرار الحركة المشاركة في الإنتخابات، وجماعة الدفاع عن الأخلاق التي تتخذ من خان يونس مقراً لها.²⁸⁴ وفي حين يبدو أن قوة ونفوذ مثل هذه الحركات الإسلامية في تزايد إلا أن ولائها لا يزال غير واضح. يزعم بعض المنتقدين بما في ذلك الرئيس عباس أن تنظيم القاعدة نجحت في إنشاء موطنٍ قدم لها في غزة.²⁸⁵ وأنها عززت من وجودها خلال إختراق الحدود

²⁷⁹ في نوفمبر، زعم قادة حماس أن جيش الإسلام خطف أحد رجال شرطة المرور، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مراقب فلسطيني، غزة، نوفمبر 2007.

²⁸⁰ منذ ظهورها في منتصف 2006، قامت حركة جيش الإسلام بحرق أكثر من 80 مقهى إنترنت، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول دولي، القدس، سبتمبر 2007.

²⁸¹ تم حرق أوتوبيسات المدارس ووجدت منشورات باسم حركة جيش الإسلام في الموقع، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مراقب فلسطيني، بيت حانون، يناير 2008.

²⁸² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسيحي فلسطيني، مدينة غزة، أكتوبر 2007. تم إطلاق النار على رامي عياد في رأسه في أكتوبر 2007 بعد اتهامات متكررة بممارسته النشاط التبشيري. إتهم بعض المسيحيين جماعة التكفير والهجرة، وهي جماعة متطرفة من رفح، ومنتشرون من حماس بأن لهم علاقة بعملية القتل. "كان عياد يصرح باحتقاره للمسلمين. لكن السؤال هو: هل هو الأول أم الأخير؟"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع قسيس محلي، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

²⁸³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في حماس، مدينة غزة، فبراير 2008.

²⁸⁴ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مراقبين محليين، مدينة غزة وخان يونس، سبتمبر 2007. وتتهم الجماعة بمسئوليتها عن سلسلة من الهجمات على مقاهي الإنترنت بالإضافة إلى مدرسة تابعة لوكالة الأمم المتحدة للاجئين في رفح في مايو 2007. انظر أخبار معاً، 24 أبريل 2007.

²⁸⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في السلطة الفلسطينية، رام الله، نوفمبر 2007. "استطيع أن أقول بدون شك أن تنظيم القاعدة موجود في الأراضي الفلسطينية وإن هذا الوجود - خاصة في غزة - تسهله حركة حماس"، نقلت صحيفة الحياة عن الرئيس محمود عباس، 27 فبراير 2008.

وقد وصفت إسرائيل جيش الإسلام كـ "فرع تشغيلي لتنظيم القاعدة في غزة"، تقرير وزارة الخارجية، 9 يناير 2008. كما صرح بعض المتعاطفين مع حماس بإدعاءات مماثلة تربط جيش الإسلام بتنظيم القاعدة، ولكنهم أكدوا أن فتح تسهل دخول المتطرفين لتقويض حماس، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، محلل إسلامي، أكتوبر 2007.

²⁸⁶ قابلت مجموعة الأزمات الدولية مقاتلي الجهاد الذين عبروا من سيناء إلى غزة خلال اختراق حدود رفح.

²⁸⁷ "لا أستطيع تأكيد عدد الذين دخلوا إلا أنهم قليلون. قد تستخدمهم إسرائيل أو جيش الإسلام لإيداننا." مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع قادة القسام، غزة، مارس 2008.

²⁸⁸ ملاحظات مجموعة الأزمات الدولية في غزة ومقابلة أجرتها المجموعة مع مراقب فلسطيني، مدينة غزة، فبراير 2008.

²⁸⁹ هذه الدعوة مرفوضة، جاءت من العراق وليس لها أساس في الواقع الفلسطيني، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع متحدث باسم كتائب القسام، غزة، مارس 2008. لقراءة خطاب البغدادي الذي أنتقد فيه الجناح السياسي لحركة حماس، أنظر

www.mnbr2.net/vb/showthread.php?t=3253

و www.nefafoundation.org/miscellaneous/befabaghdadi0208.pdf

كما يشير الفيديو إلى جيش الإسلام كنموذج للجهاد العالمي في غزة.²⁹⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع صحفي فلسطيني، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

IV. توتر بداخل حماس

هذه الآراء المختلفة يمكن ترجمتها إلى أولويات متباينة كما هو الحال مثل الإختلاف حول وقف إطلاق النار مع إسرائيل والمصالحة مع عباس والشروط التي تستطيع بموجبها قوات السلطة الفلسطينية المالية للرئيس أن تستأنف عملياتها في غزة. يبدو أن الجناح العسكري لحركة حماس في قطاع غزة مهتم أساساً بتأمين أرضه أولاً، حتى لو كان ذلك يعنى التوصل إلى وقف إطلاق النار مع إسرائيل لا ينطبق على الضفة الغربية. ففي شهر ديسمبر 2007، قال أحد قادة الجناح العسكري لحركة حماس: "اليوم نحن نتحدث عن وقف لإطلاق النار في غزة. وفي مرحلة لاحقة يمكن تمديد وقف إطلاق النار إلى أماكن أخرى".²⁹³ وفي الأونة الأخيرة، لاحظ أحد المسؤولين: "يمكننا فقط أن نضمن الأمن في المنطقة التي نسيطر عليها. هل تسيطر حماس على الضفة الغربية؟ هذا شأن أبو مازن".²⁹⁴ ويبيدي آخرون معظمهم في الضفة الغربية عدم إرتياحهم لهذه الفكرة. الدعوة إلى وقف إطلاق النار منفصل أضاف إلى شعورهم بالتجاهل والضعف. ويتساءل أحد برلماني حماس في الضفة الغربية: "كيف يمكن الإتفاق على تهدئة في غزة بينما لا تزال إسرائيل موجودة في الضفة الغربية والقدس؟"²⁹⁵ وفي بعض الأحيان انتقد هؤلاء البرلمانيون علناً الإستيلاء على غزة:

أنا عارضت أى انقلاب عسكري. أردت أن يجلس قادتهم وقادتنا في غرفة مغلقة وأن يتوصلوا إلى حل فلسطيني من خلال الحوار وليس العنف. كيف يمكننا ان ندعو الى عقد هدنة مع إسرائيل بدون أن نعقد هدنة مع شعبنا؟ هل نخدم الحرب الأهلية المصالح الفلسطينية؟ هل نخدمها دولة تقودها حماس؟ هل فتح عدو لحماس أم اسرائيل؟ فتح ما هي إلا منافسة سياسية. لكنها ليست عدو. خطتي عبارة عن مشروع إسلامي، لكن المشروع الفلسطيني للجميع. قاتلنا بعضنا البعض وخسرنا إحترام العالم.²⁹⁶

كان قادة الضفة الغربية أكثر حرصاً على تصحيح الأمور مع عباس، حيث اتخذوا مواقف قوية من البيانات الصادرة من غزة التي تفيد أن الحركة قد تتخذ إجراء مماثل في الضفة الغربية وصلوا مع عباس صلاة الجمعة في المجمع الرئاسي برام الله كتعبير عن ندمهم لما جرى.²⁹⁷ وتحدثوا بصراحة أكثر عن حل

أدى استيلاء حماس على غزة إلى زيادة التوتر بداخل الحركة، والتي هي بالفعل مشتتة جغرافياً بين غزة والضفة الغربية والسجون والمنفى وأيديولوجياً بين القيادات السياسية والعسكرية والدينية. بينما تمثل إichاءات بالإنقسام مبالغاً فادحة وشئ سابق لأوانه، إلا ان الأحداث في غزة بالتأكيد جعلت الاختلافات الموجودة سابقاً أكثر حدة.

بالنسبة للقيادة العسكرية في غزة، كان الإستيلاء على السلطة عمل إنتقامي بعد سنوات من الإذلال على يد فتح بالإضافة إلى كونه فرصة فريدة من نوعها لتأكيد قوتها. أما بالنسبة للقيادة السياسية، سواء في المنفى أو في الضفة الغربية أو غزة، فإن الإستيلاء على غزة كان في أحسن الأحوال نعمة ونقمة، وربما خطوة لا مفر منها وإن كانت محفوفة بالمخاطر. يزعم قادة حماس أن الإستيلاء على غزة كان تحرك وقائي أحدثه تحركات من جانب بعض عناصر فتح بمساعدة آخرين من خارج الحركة لإسقاط حركة حماس.²⁹¹ ومع ذلك، فإن إحدث ردة فعل شعبية وإنهاء حكومة الوحدة الوطنية قد أضر بوضع حماس الداخلي و بجهودها من أجل كسب المصداقية في المنطقة، كما قوض آمالها في تمثيل الحركة الوطنية ككل من خلال الإندماج بمنظمة التحرير الفلسطينية. وعلاوة على ذلك، أعطت فتح حرية أكثر في الضفة الغربية لمطاردة حماس والسعي لإضعاف الحركة هناك. فقد أعضاء حماس في الضفة الغربية بعد الإستيلاء على غزة أي قوة كانوا يتمتعون بها بصفتهم شركاء في حكومة الوحدة الوطنية وأصبحوا مطاردين من كل من إسرائيل وجهاز الأمن الذي تسيطر عليه حركة فتح.

أى شئ تفعله غزة، تدفع ثمنه الضفة الغربية. عندما أختطف [الجندي الإسرائيلي] جلعاد شاليط، تم احتجاز أعضاؤنا في البرلمان والآن نحن ندفع ثمن الإستيلاء على غزة. تم طرد الآلاف من عملهم وتم إغلاق المؤسسات الخيرية وتجميد الحسابات المصرفية وغزو المساجد. لاقى العديد من عناصرنا تعذيباً شديداً. وتعرض البرلمانيون القليلون الذين لم يسجنوا إلى الإعتداء.²⁹²

وبالنسبة للقيادة الدينية أيضاً، والتي كانت منذ البداية غير مطمئنة لمحاولات حماس الحصول الوصول إلى السلطة السياسية فإن السيطرة على غزة كانت هدفة خطيرة.

²⁹³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو حماس في المجلس التشريعي الفلسطيني، مدينة غزة، ديسمبر 2007. "كنا نقول أن وقف متبادل وشامل لإطلاق النار يتضمن الضفة الغربية. الآن نقول سيتضمن قطاع غزة فقط"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسؤولي حماس، مدينة غزة، ديسمبر 2007.

²⁹⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسؤولي حماس، مدينة غزة، مارس 2008.

²⁹⁵ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو حماس في المجلس التشريعي الفلسطيني، الخليل، أكتوبر 2007.

²⁹⁶ انظر المرجع السابق.

²⁹⁷ السؤال هو: هل ما حدث لأبو مازن في غزة سيحدث في الضفة الغربية؟ هل يستطيع أن يسيطر على الضفة؟ وإذا استطاع، إلى متى؟" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محمود الزهار، مدينة غزة، أكتوبر 2007. في تجمع بمخيم الجبلية للاجئين في أكتوبر، نقل عن الزهار قوله: "تقول إسرائيل أنها اذا خرجت من الضفة الغربية ستسيطر عليها حماس. ونحن نقول أن هذا صحيح". وتوقع قائد في الجناح العسكري كان بجانبه يدعى نزار ريان

²⁹¹ للحصول على معلومات إضافية والتحليل أنظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم 68، After Gaza، 2 أغسطس 2007. وللإطلاع على رواية أخرى حول جهود الولايات المتحدة لإنشاء قوة مسلحة مناوئة لحماس في غزة، انظر The Gaza Bombshell لدايفد روز، Vanity Fair، مارس 2008.

²⁹² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو حماس في المجلس التشريعي الفلسطيني، الخليل، أكتوبر 2007. قال أحد قائدي حماس السياسيين: "الجناح العسكري دائما ينهم الجناح السياسي بأنه يقول له ماذا يفعل وأن يلتزم الصمت رغم أنهم هم الذين يضحون بحياتهم"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، مارس 2008.

...من نسج خيالك. أنت معتاد على "اليمين" و "اليسار" في أنظمتك السياسية. هذا التمييز لا وجود له داخل نظامنا. نحن نعمل من خلال قرار الأغلبية. يحدث نقاش داخل المنظمة، لكن هذا لا يعنى انقسام. وهناك تطورات يومية تثير النقاش وهذا أمر طبيعي. هناك دائما مناقشات ومداولات داخل مجالس الوزارات. ولكننا جميعا نعمل داخل الإطار نفسه.³⁰⁵

وبالمثل ، فان المسؤولين حاولوا جاهدين دحض شائعات وجود توترات بين غزة والقيادة الخارجية، حيث قدموا نفس التعليقات غير المجدية التي يسمعاها المحاورين في دمشق وبيروت وغزة. تحدثت قائد في المنفى عن موقف مشترك، وهو يقر مرة أخرى بأنه كانت هناك خلافات:

ونحن جميعا نتفق أنه يمكننا وينبغي علينا أن نتحاور مع فتح كلما كان ذلك ممكناً ونحن لن نقول ان الإستيلاء على غزة كان خطأ ولا أن كل شيء كان على ما يرام؛ ونحن نوافق على أن نعيد مقر عباس إليه ومنشآت الأمن الأخرى إلى قوات أمن محايدة غير سياسية.³⁰⁶

ووفقا لخالد مشعل ، رئيس المكتب السياسي لحماس، أرسلت الحركة إلى مصر والمملكة العربية السعودية ورقة تحدد رؤية الحركة للمصالحة ، مع مقترحات لإعادة هيكلة الأجهزة الأمنية ، والشراكة السياسية والإصلاح القضائي بشرط إعادة مفار الأمن لقوات السلطة الفلسطينية.³⁰⁷

قادة حماس في غزة الذين عارضوا في البداية إعادة فتح المعابر الفلسطينية تحت إشراف قوات خارجة عن سيطرتهم قالوا أنهم من الممكن أن يقبلوا حلاً وسطا تكون فيه قوات السلطة الفلسطينية (وليس الحرس الرئاسي)³⁰⁸ موجودة طالما سيكون لحماس دوراً أيضاً.³⁰⁹ ومنذ إختراق الجدار وميزان القوى مختل على الأقل بصورة مؤقتة ، حيث سعت حماس لإقامة نظام للحدود خاص بها متمثل في مراقبة الهجرة وختم الجوازات وحاولت أن تتفاوض على تسوية منفصلة مع مصر. لكن أمام رفض القاهرة كان خيار حماس الوحيد يكمن في ترتيب إتفاق رباعي يشمل مصر والسلطة الفلسطينية وحماس وإسرائيل، وربما بمشاركة مراقبين دوليين.

وسط من أجل إعادة غزة إلى وضعها الطبيعي؛ لكن بينما يعترف شركاء حماس في الضفة الغربية بعباس بوصفه الرئيس الشرعي،²⁹⁸ يصدر المتحدثون باسم حماس في غزة بيانات عدوانية بصورة متكررة تدعو إلى إستقالته.

يشعر الناس أن عباس شريك إسرائيل في التسبب في معاناتنا. لن يكون زعيم فلسطيني ذو مصداقية أبداً، لقد فقدنا الثقة في أبو مازن. يجب عليه أن يرحل، ويفسح المجال لشخص آخر من خلال إنتخابات رئاسية مبكرة.²⁹⁹

قادة حماس في السجون الإسرائيلية ، الذين إشتراكوا في كتابة وثيقة مبادرة سجناء مايو 2006 التي تدعو إلى حكومة وحدة وطنية، عبروا عن مشاعر مماثلة. حيث قال أحد أعضاء حماس النافذين كان مسجوناً أثناء الإستيلاء على غزة: "بعثت برسالة أقول فيها أن معظم سجناء حماس كانوا يؤيدون الحوار ويعارضون الحسم العسكري كحل للمنازعات ولكن بالرغم من ذلك نحن نتفهم الواقع العسكري في غزة".³⁰⁰ ووفقا لبعض المصادر ، كان هناك قلق - وان كان مكبوتاً - فيما بين القيادة في المنفى أيضاً.³⁰¹

بمرور الوقت وبسبب الصعوبة الواضحة في التشاور مع الأعضاء غير القادرين على السفر أو الإتصال بحرية قللت الحركة من خلافاتها، ففي شهر ديسمبر 2007 قال قادة حماس أنهم وجدوا طريقة للتشاور فيما بينهم وبعد إعترافيهم بوجود خلافات سابقة توصلوا إلى "إتفاق واسع النطاق"³⁰²، وفي إجتماعاتهم التي عقدها في غزة مع مجموعة الأزمات الدولية بدل مسئولو حماس أقصى ما في وسعهم لنفي أي أنباء عن توتر داخلي، حيث إجتمع ممثلين من جميع مسارات الحركة وإتفقوا على أنه كانت هناك إختلافات في وجهات النظر. زعم الجميع بأن هذا أمر طبيعي، وان هذه الإختلافات تم تسويتها بشكل "ديمقراطي"، حيث أن الرأي الذي أقرته الأغلبية أصبح الجميع يدافع عنه، "خاصة هؤلاء الذين عارضوه في الأول".³⁰³ وردا على سؤال حول تردد الإشاعات عن حدوث انقسامات، قال احد قادة حركة حماس في غزة: "انتظر وسوف ترى. لا أستطيع أن أعدك بأن حماس لن تنقسم. لكن الحركات السياسية الإسلامية لم تنقسم أبداً مثل الجماعات العلمانية ومنظمة التحرير الفلسطينية".³⁰⁴ كما أضاف أن فكرة إنقسام الحركة بين "متشددين" و "متهاونين" هي...

³⁰⁵ انظر المرجع السابق.

³⁰⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد قادة حماس في المنفى، ديسمبر 2007.

³⁰⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد قادة حماس في المنفى، ديسمبر 2007، وأحد الإسلاميين، نابلس، ديسمبر 2007. صرح أحمد يوسف ، أحد مسئولي حماس في غزة، باقتراح مماثل، وكالة معا الإخبارية، 24 ديسمبر 2007.

³⁰⁸ "نستطيع أن نقبل أي طرف ثالث، لكن لنا تحفظات على الحرس الرئاسي بسبب تورطهم في الفساد"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولي حماس، رفح، أكتوبر 2007. وفي محادثاتهم في مصر إعترض قادة حماس على تمركز القوات الرئاسية في رفح، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولي حماس، مدينة غزة، مارس 2008.

³⁰⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولي حماس، مدينة غزة، ديسمبر 2007. مع ذلك لا يزال قادة حماس يرسلون رسائل متناقضة في هذا الشأن.

أن تستولي حماس على المقاطة مقر حكم عباس في رام الله خلال عام، وكالة الأنباء الفرنسية، 30 أكتوبر 2007.

²⁹⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، نابلس، فبراير 2008.

²⁹⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولي حماس، غزة، أكتوبر 2007.

³⁰⁰ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، الخليل، أكتوبر 2007.

³⁰¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محلل إسلامي، أكتوبر 2007.

³⁰² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد قادة حماس في المنفى، ديسمبر 2007.

³⁰³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد قادة حماس، غزة، ديسمبر 2007.

³⁰⁴ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع الزهار ، غزة، ديسمبر 2007.

V. الخاتمة : وماذا بعد؟

□ مصالحة فلسطينية-فلسطينية تركز على إنشاء قوى أمن مهنية وحل الميليشيات وإعادة توحيد غزة والضفة الغربية وإدماج الإسلاميين في منظمة التحرير الفلسطينية.

□ وقف إطلاق النار بين حماس وإسرائيل بوساطة كل من عباس ومصر أو بوساطة مصرية يشمل جميع الإعتداءات ومنع تهريب أى أسلحة إلى غزة من خلال رقابة مصرية أكثر صرامة وتنسيق متعدد الأطراف وفتح للمعايير ينطوي على وجود أفراد من السلطة الفلسطينية ورقابة مشددة من طرف ثالث.

□ تسريع مفاوضات السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية والتي ستقوض حماس رئيسها حيث سيخضع أى إتفاق لإستفتاء شعبي.

□ قبول إقليمي ودولي لإتفاق فتح-حماس.

وبما إن النتائج المرجوة تبدو مع الأسف بعيدة المنال فينبغي أن يكون التركيز على ضمان وقف سريع لإطلاق النار ووقف الإنزلاق نحو مواجهة أوسع نطاقاً وأكثر تكلفة. مثل هذا الحل المؤقت يمكن ان يكون بمثابة مقدمة لمصالحة أوسع بين فتح وحماس.

أ. المصالحة الوطنية

لم يكن إتفاق مكة الذي تم توقيعه في فبراير 2007 وحكومة الوحدة الوطنية التي جاءت نتيجة هذا الإتفاق سوى إستراحة قصيرة للمواجهة المتصاعدة بين حركتي فتح وحماس. فلا الإتفاق ولا حكومة الوحدة عالجا مسألتين أساسيتين: تمثيل الحركة الفلسطينية الوطنية و السيطرة على قوات الأمن؟ وكانت النتيجة هي سرعة إنهيار الإتفاق.

واليوم ، فإن المطلوب من جميع الفلسطينيين أن يدركوا أهمية هذه الوحدة. قال أحد مسئولى حماس فى غزة: "عباس ضعيف بدون حماس، وحماس ضعيفة بدون عباس".³¹² فى الضفة الغربية إرتفع صوت بعض مسئولى فتح على وجه الخصوص هؤلا المرتبطين بالزعيم المسجون مروان البرغوثى فى الدعوة إلى محادثات جديدة معللين قولهم أن الإنقسام يضر بالقضية الفلسطينية وأن السعى إلى إتفاق سلام فى ظل إنقسام المجتمع الفلسطينى أمر صعب وخطير. ويقول أحدهم أيضاً: "لو ترددنا فى حل المشاكل الداخلية بيننا وبين حماس فسينتهى أمر فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية عاجلاً أو آجلاً. الوقت يعمل لصالح حركة حماس وليس لصالحنا. لو أدخلنا حماس فى إطار سياسى ستساعدا".³¹³

أظهر التصعيد الأخير المأسوى والخطير فى العنف مرة أخرى أن مستقبل حماس لا يزال رهن المنافسة بين مجموعة من الأطراف لا يمكن التوفيق بينها وهى حماس، وفتح، وإسرائيل والمجتمع الدولي. ففي حالة إستمرار الإتجاهات الراهنة فيمكن تخيل الأسوأ: تزايد إطلاق الصواريخ على قرى ومدن اسرائيلية، مما يعرض المدنيين للقتل ويهدد أمن عشرات الآلاف من المواطنين بالإضافة إلى إستئناف عمليات القصف والهجمات داخل اسرائيل، كتلك التى رأيناها فى 7 مارس 2008 عندما قتل ثمانية طلاب فى مدرسة دينية بالقدس؛ تكثيف عمليات التوغل العسكرية الإسرائيلية، وعمليات الإغتيالات والإعتداءات على المنشآت الرئيسية والمقاتلين التي تؤدى لا محالة إلى قتل العديد من المدنيين الفلسطينيين وإنهيار عملية السلام والإضرار بمصداقية القادة الواقعيين مع احتمال إمتداد الصراع إلى ساحات أخرى بما فى ذلك الضفة الغربية ولبنان.³¹⁰

وفي غضون ذلك، كما يبين هذا التقرير، فإن هدف إضعاف قبضة حماس على غزة بعيد كل البعد عن التحقق. بل على العكس: كما هو الحال فى كثير من الأحيان مع العقوبات حيث تزداد معاناة سكان غزة فى ظل إعتمادهم على الحكام. إعترف أحد المسئولين فى حكومة فياض: "لم تحقق العقوبات الهدف السياسى المنشود منها. تحصل حماس على ما تريده من خلال الإتفاق ولا يتم إضعافها سياسياً أو مادياً".³¹¹

أما أكثر السيناريوهات الكارثية والتي الأرجح لم تحدث بعد ولكن أصبح تخيلها ممكن بشكل متزايد. يتوقف عدم حصول مثل هذه السيناريوهات فى نهاية المطاف على المصالحة بين فتح وحماس التى سوف تعيد توحيد غزة والضفة الغربية وعلى وقف إطلاق النار بين حماس وإسرائيل يودى إلى رفع الحصار عن غزة وفتح لسكان غزة والإسرائيليين الذين يعيشون بالقرب من الحدود أن يعيشوا حياة طبيعية وعلى المجتمع الدولي فى لعب دور بناء فى تشجيع الأطراف على تحقيق هذه الأهداف.

ولتحقيق وقف أعمال العنف وتفادي وقوع كارثة إنسانية وتشجيع عملية سياسية حقيقية والحفاظ على مصداقية وأهمية القادة الفلسطينيين الواقعيين فإنه يلزم إتخاذ الخطوات التالية:

³¹⁰ كتب زفى باريل فى صحيفة هآرتس فى 2 مارس 2008 : "لا يهدد الهود فى الضفة الغربية غير شيء واحد: الحرب فى غزة... فى اللحظة التى تبدأ فيها الحرب فى قطاع غزة لن تكون حرباً ضد حماس بل سوف ينظر إليها على أنها حرب ضد أكثر شرائح الشعب الفلسطينى فقراً وتعرضاً للظلم أى ضد النساء والأطفال، وهى حرب لن تستطيع الضفة الغربية أن تتجاهلها. إذاً فلن يكون فتح جبهة ثانية شرقاً ضد إسرائيل مفاجئاً".

³¹¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع كبار المسئولين فى السلطة الفلسطينية، رام الله، أكتوبر 2007. حتى وقت قريب، كان مسئولى فتح قد ربطوا بين إعادة فتح المعابر واستعادة الوضع السابق. "يجب على حماس أن تتخلى عن ثورتها حتى يتم فتح الحدود"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولى فتح، مدينة غزة، أكتوبر 2007.

³¹² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول فى حماس، مدينة غزة، فبراير 2008.

³¹³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول فى فتح، رام الله، يناير 2008.

يعمل لصالحها حيث يضعف عباس وتقوض مصداقيته. بالتالي لسنا في عجلة من أمرنا".³²¹

ولذلك فبدون إستعادة الوحدة فإن احتمالات إحراز تقدم على أي جبهة ستظل هشة في أحسن الأحوال وعلى الأرجح مجرد وهم. القتال في غزة سيعيق وربما ينسف محادثات السلام كما تبرهنه لجوء حماس إلى إطلاق الصواريخ وعمليات إسرائيل العسكرية. وعلاوة على ذلك فبدون وحدة يخاطر عباس بأن يخسر المصداقية والسلطة التي يحتاجها لإنجاز إتفاق تاريخي والتصديق عليه من خلال إستفتاء في غزة، فضلاً عن الضفة الغربية. وللسبب نفسه، فالوقت قد أظهر أن حركة حماس ستجد صعوبة في تخفيف معاناة غزة ما لم تطالب جبهة فلسطينية موحدة بفتح المعابر وتوافق على آلية للقيام بذلك دون تعريض أمن إسرائيل للخطر. وبوجه أعم، طالما ظلت حركتي فتح وحماس منقسمتين ستظل الضفة الغربية وقطاع غزة منقسمتين وستصبح السلطات المختلفة الحاكمة لكلاً من المنطقتين أكثر تخندقاً.

والعكس صحيح أيضاً: فمثلما يمكن أن يكون عباس مفيداً لحركة حماس كقناة للحوار مع إسرائيل والمجتمع الدولي بشأن القضايا المهمة - فتح المعابر، والتوصل إلى وقف إطلاق النار وإكتساب مكانة دولية - فإن إحياء التفويض التي أعطته حماس لعباس في مكة للتفاوض على اتفاقية سياسية مع إسرائيل من الممكن أيضاً أن يعزز من شرعية الرئيس ويوسع من هامش المناورة لديه.

سيتم التطرق إلى أشكال مصالحة محتملة في تقرير مقبل لمجموعة الأزمات الدولية، لكن من الممكن أن يتخذ الحركتين خطوات فورية لتخفيف حدة التوتر، عن طريق إنهاء الهجمات المتبادلة والكف عن مضايقة واحتجاز أعضاء كل منهما في غزة والضفة الغربية. كما ينبغي على حماس إخلاء بعض المباني التي ترمز للوحدة الوطنية الفلسطينية مثل مقر الرئاسة.

ب. وقف إطلاق النار والمعابر الحدودية

إن الحالة الراهنة لا يمكن تحملها، فليس من المتوقع أن تتحمل إسرائيل استمرار إطلاق الصواريخ ومن غير المحتمل أن تقف حماس مكتوفة الأيدي بينما غزة تختنق.³²² ففي شهر ديسمبر 2007، يقول أحد مسؤولي وزارة الدفاع الإسرائيلية من أنصار سياسة الإحتواء العسكري: "إن ما يمنع حماس من إطلاق صواريخ أكثر أو إطلاق صواريخ بعيدة المدى هو إهتمامها بتريسيخ دعائم دولة حماسان على المدى الطويل".³²³ جاءت

إلا أن هناك عقبات كبيرة ويزيد من حجمها الأحداث المحيطة بالإستيلاء على غزة. على الورق فإن المسألة تتعلق بإصرار عباس على وضع شروط مسبقة قبل إستئناف المحادثات (إعادة غزة إلى الوضع السابق، إعتذار حماس، وكان آخر هذه الشروط هو الموافقة على إجراء إنتخابات مبكرة)³¹⁴ وإصرار حماس على حوار غير مشروط. ليس ذلك فحسب فقد تصاعدت المعركة الكلامية³¹⁵ وكذلك كثرت المناوشات على أرض الواقع، وفي كلتا الحالتين يبدو أن ما يشجع على ذلك هو أطراف فاعلة خارجية (إيران من جهة، والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى) تعمل على منع التقارب. وإتهم كل جانب الآخر بالتآمر لقتل قادته الرئيسيين؛ وتحدث التقارير عن اقتناع عباس بأن مقاتلي حماس كانوا يحفرون نفق بهدف اغتياله خلال زيارته لغزة،³¹⁶ وفي وقت لاحق ألفت حركة حماس القبض على أكثر من خمسة عشر شخص قيل أنهم اعترفوا بتلقي أوامر من الطيب عبد الرحيم، أحد كبار مساعدي عباس، باغتيال هنية.³¹⁷

إن احتجاز حماس لمدة ستة أسابيع لعمر الغول، مستشار فياض أثناء زيارة عائلية لغزة، كان ينظر إليها كتحدٍ لوزراء فياض وكبار مسؤولي فتح الآخرين بأن يبقوا بعيداً. قال أحد مسؤولي حماس: "إن الصدع كبير جداً. لا توجد بيننا ثقة لإعادة إطلاق حوار وطني"،³¹⁸ وهذا رأي ردهه العديد من مسؤولي حركة فتح.³¹⁹ وحتى الآن فقد فشلت كل جهود الوساطة التي تضطلع بها الجهات الفاعلة الإقليمية.³²⁰

وحتى أعضاء فتح الذين يؤيدون الحوار يقولون أنهم لا يستطيعوا التغلب على اعتراضات عباس القوية. ومع مرور الوقت أصبحت حركة حماس مقتنعة أن عملية إقناع القادة في غزة بالتخلي عن منافع وامتيازات السلطة يصبح أكثر صعوبة. ونتيجة لذلك، وبالرغم من أن الجانبين يدعون إلى المصالحة علنياً فلا يبدو أن أي منهما يعمل من أجل تحقيقها. "يعتقد كل من عباس وحركة حماس أنه يمكن الإنتظار فعباس يقول أنه يؤمن بإستراتيجية العقوبات والعزلة وتعتقد حركة حماس أن الوقت

³¹⁴ "يجب على حماس إنهاء انقلابها في غزة والقبول بجميع الالتزامات الدولية والقبول بعقد انتخابات مبكرة. بعد ذلك ستكون قلوبنا مفتوحة لأي حوار"، رويترز نقلاً عن الرئيس محمود عباس، 30 يناير 2008.
³¹⁵ كان هذا جلياً في المصطلحات المستخدمة في وصف الأحداث. فالذي أطلقت عليه فتح "انقلاباً" أسمته حماس "حسم عسكري"؛ وما أسمته حماس "فتح" باتجاه مصر "وتحرير الاقتصاد من المحتل" أطلقت عليه فتح "اقتحام" وتكرر متهور من حليف مهم.

³¹⁶ في اجتماع لمنظمة التحرير الفلسطينية في 20 يونيو 2007، اتهم عباس حركة حماس بمحاولة اغتياله باستخدام 550 رطل من المتفجرات المزروعة في نفق تحت الطريق الذي كان من المفروض أن يمر منه موكبه، أسوشيتد برس، 20 يونيو 2007.

³¹⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في حماس، مدينة غزة، فبراير 2008.

³¹⁸ انظر المرجع السابق.

³¹⁹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤولي فتح، رام الله، يناير 2008.

³²⁰ وفقاً للتقارير، كانت هناك جهود متكررة اضطلعت بها السعودية والسودان وقطر واليمن، ضمن آخرين، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في السلطة الفلسطينية، مارس 2008.

³²¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محلل عربي، واشنطن،

مارس 2008.

³²² على لسان أحد مسؤولي حماس: "لا يستطيع الفلسطينيون استيعاب العقوبات دون أن يفعلوا شيئاً"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحمد يوسف، مدينة غزة، فبراير 2008.

³²³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد كبار المسؤولين في الدفاع الإسرائيلي، تل أبيب، ديسمبر 2007.

فإن أهداف حماس الرئيسية كانت تعزيز سيطرتها على القطاع، واستعادة القانون والنظام، وإثبات مقدرتها في الحكم. أي صراع حاد مع إسرائيل سوف يستهدف الهدفين السابقين كما سيؤدي استمرار إغلاق الحدود إلى تعريض الهدف الثالث للخطر. وفي الوقت نفسه، تبدو حماس حريصة على تبييد أي انطباع عنها أنها في حاجة ماسة لوقف الأعمال العدائية وتصر على أنها تستطيع أن تتحمل الهجمات الإسرائيلية. وفي كلمات تبدو غريبة في ضوء الأحداث اللاحقة والتي تستعرض ما سيقوله الفلسطينيون أثناء تصعيد فبراير 2008 علق أحد قادة حماس في ديسمبر 2007:

من المؤكد أننا سوف نعاني. ولكن ستعاني إسرائيل أيضاً. وسيكون هناك آلاف القتلى والجرحى. ماذا يريدون؟ محرقة في غزة؟ حسناً، لكننا سنحارب، وسننجو. ماذا سيكون التأثير؟ أن يدعم الجميع عباس بعد ذلك؟ أنه سيأتي ليسيتر على غزة؟³²⁸

يجب أن ينظر في هذا السياق إلى التصعيد الكمي والنوعي في الهجمات الصاروخية، ففي شهر فبراير 2008 تم إطلاق المئات من الصواريخ بما في ذلك صاروخ كاتيوشا (غراد) ذو المدى الأطول الذي وصل إلى أشكلون. على الرغم من أن هذا التصعيد قد عرض حماس لخطر أكبر بكثير، حيث قامت إسرائيل بقصف مقارها ومستودع أسلحتها وقتلت العديد من مقاتليها إلا أن الإسلاميين يبدو أنهم قرروا أن الأمر كان يستحق التكلفة لعدة أسباب: أولاً هم يسعون لاستحداث شكل من أشكال الردع الخاص بهم ووضع قواعد اللعبة زاعمين أنهم يريدون على هجوم إسرائيلي ضد خمسة من مقاتليهم.³²⁹ يمكن القول أيضاً أن هذا التصعيد كان محاولة للخروج من الوضع الراهن - تجديد الحصار بعد فترة وجيزة كان الجدار فيها غير موجود - عن طريق تذكير إسرائيل والمجتمع الدولي بقدرة حماس على الإفشل.³³⁰

وفي السياق نفسه قد تكون الحركة زادت من رهاناتها أملاً في الحصول على وقف لإطلاق النار وفقاً للشروط المقبولة لديها. حتى أي انتقام إسرائيلي قوى لن يكون مقبولاً من هذا المنظور. فالأمر لا يقتصر فقط على أن الخسائر المدنية الثقيلة تعيد طرح مسألة غزة - وبالتالي حماس - في المعادلة الإقليمية والدولية، ولكنها أيضاً تضعف من شرعية وقدرة عباس على إجراء

الأحداث اللاحقة لتدحض هذا التقييم.³²⁴ فلم تتجح فكرة أن حماس ستوقف عن إطلاق النار إذا ما أجبرت على دفع الثمن. حيث ثبت أن تكثيف الاعتداءات الإسرائيلية في أحسن الأحوال وسيلة غير ناجحة لفرض الهدوء فهي تتسبب في مواجهة أشد إحتداداً.³²⁵ ولا يوجد سوى خيارين: تصعيد عسكري كبير لوقف الصواريخ أو وقف لإطلاق النار.

يقول قادة حماس في غزة وفي المنفى أنهم على استعداد للنظر في الخيار الثاني، ولكن فقط في حالة إذا كان وقف الأعمال الحربية يتضمن أيضاً رفع الحصار. هم يرون أن وقف إطلاق النار يجب أن ينطوي على وضع حد لإطلاق الصواريخ، ووقف الهجمات العسكرية الإسرائيلية وعمليات القتل المستهدفة، بالإضافة إلى فتح معابر غزة للسماح للإسلاميين لإدارة القطاع بنجاح أكبر. يقول أحد قادة غزة: "ليس لدينا أي مصلحة في المواجهة منذ انسحاب إسرائيل من غزة. وإذا توقفت إسرائيل وإذا تم رفع الحصار فسنوقف".³²⁶ وكما ذكرنا سابقاً فإن القادة في غزة وفي المنفى لم يكونوا دائماً واضحين بشأن ما إذا كان وقف إطلاق النار يجب أن يشمل الضفة الغربية أيضاً.³²⁷

ليس من الصعب التكهّن بدوافع حماس في غزة، فمنذ الاستيلاء على غزة وصراعها المتصاعد مع عباس ورئيس الوزراء فياض

³²⁴ كان هذا صحيحاً حتى من قبل تصعيد فبراير 2008. أدت غارة تم شنّها في منتصف يناير 2008 في عمق مدينة غزة، قال المسؤولون الإسرائيليون أنها كانت تهدف إلى الحد من إطلاق الصواريخ، إلى أكثر الأيام دموية في أعمال العنف في غزة منذ فك الارتباط في 2005. قتلت إسرائيل ما لا يقل عن ثمانية عشر من المقاتلين، بما في ذلك نجل زعيم حركة حماس محمود الزهار. على مدى الأيام الأربعة التالية، أطلقت حماس وغيرها من الجماعات المسلحة أكثر من 160 صاروخ، بما في ذلك صاروخ غراد الطويل المدى.

³²⁵ "لا يمكنك أن تتوقع من حماس أن تجلس مكتوفة الأيدي بينما يحاول الجميع أن يخفونها ببضع عليهم أن يفعلوا شيئاً"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع شلومو بروم، الرئيس السابق لشعبة التخطيط الاستراتيجي في القوات المسلحة الإسرائيلية، تل أبيب، أكتوبر 2007. وفي مقالة متبصرة يقول بروم أن "الردع يكون موجود عندما يفضل الطرف الذي نسعى لردعه عدم فعل أي شيء. المشكلة هي أنه من وجهة نظر حماس فإن خيار إسرائيل عدم فعل أي شيء هو أسوأ من استمرار المواجهة مع إسرائيل بالرغم من تكلفته العالية"، لأنه يعنى أنها تقبل بسياسة تهدف إلى إضعافها وإسقاطها. بروم، "The Real Choice: Ceasefire or Reoccupation"، النشرة السياسية الصادرة عن معهد دراسات الأمن القومي، 12 مارس 2008.

³²⁶ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في حماس، غزة، ديسمبر 2007.

³²⁷ انظر المرجع السابق؛ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع قادة حماس في المنفى، ديسمبر 2007. من المحتمل أن قادة حماس قد وصلوا إلى نتيجة مفادها أن من شأن وقف إطلاق النار في قطاع غزة فقط أن يزيد من إخراج عباس من خلال اظهار ان الإسلاميين في غزة استطاعوا الحصول على ما لم يستطع هو الحصول عليه في الضفة الغربية، على الرغم من موقفه الإستراتيجي، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع محلل فلسطيني، فبراير 2008. لا يزال القادة في الضفة الغربية مصرّون على أن يشمل وقف إطلاق النار الضفة الغربية، وقال قادة حماس آخرون في الأونة الأخيرة انه لا يمكن تطبيق إلا وقف شامل لإطلاق النار، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مسئول في حماس، مدينة غزة، مارس 2008. لكن على الأقل هناك شك في استدامة وقف إطلاق النار في غزة وحدها؛ فعلى سبيل المثال من الممكن أن يثير قتل مقاتلين من الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية رد فعل من غزة كما أكدته الأحداث الأخيرة. في 12 مارس، قال هنية: "لن نتخلى عنكم، أنتم شعبنا في الضفة الغربية. أي عدوان عليكم هو عدوان علينا"، صحيفة هآرتس، 12 مارس 2008.

³²⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد زعماء حماس في المنفى، ديسمبر 2007. في فبراير ومارس 2008، استخدم كلا من الرئيس عباس ورئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل كلمة "المحرقة" لوصف الهجمات العسكرية الإسرائيلية في غزة. قال مشعل: "ان غزة 'محرقة' حقيقة"، صحيفة هآرتس، 2 مارس 2008؛ عباس: "غزة تهاجم 'محرقة'"، الجزيرة، 2 مارس 2008.

³²⁹ في 27 فبراير شنت إسرائيل ضربة جوية على حافلة صغيرة تنقل مقاتلي حماس إلى قاعدة عسكرية غرب خان يونس. قتل خمسة من رجال حماس المسلحين، بما في ذلك قائد فريق الصواريخ ومهندس صواريخ، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مراقب مطلع، مدينة غزة، فبراير 2008.

³³⁰ صدق رئيس المخابرات العسكرية في قوات الدفاع الإسرائيلية أموس بديلين على هذه النظرية عندما قال تم الضغط على حماس حتى اعترفت "أن الوضع لا يحتمل وأنه يجب كسر الحصار ووضع معادلة جديدة في الصراع مع إسرائيل"، صحيفة هآرتس، 3 مارس 2008.

والصقور الحاليين والسابقين. هؤلاء يضمنون مستشار الأمن القومي السابق جيورا ايلاند، رئيس أركان جيش الدفاع الاسرائيلي السابق ووزير النقل الحالي شاؤول موفاز ورئيس الموساد السابق افرام هاليفي الذي يقول: "من المنطقي أن نسعى لتفاهم أولى محتمل يضم حماس - لكن لا يقتصر على حماس - في الوقت الذي لا يزالون يسعون إلى هذا التفاهم. فلن يستفيد أي جانب من تصعيد يؤدي إلى إعادة دخول إسرائيل لقطاع غزة".³³⁶

إلا أن صانعي القرار الإسرائيلي قلقون بشأن السليبيات المحتملة. التوصل إلى وقف إطلاق النار مع حركة حماس وتخفيف الحصار من شأنه أن يعزز الحركة في غزة، وبالتالي يقوض عباس. والأهم من ذلك أنهم يخشون أن يعطي وقف العمليات في قطاع غزة حركة حماس حرية أكبر لتعزيز ترسانتها العسكرية وتحسين قدرتها تحسباً للجولة القادمة. في نظر إسرائيل، الانتظار سيكون بمثابة السماح لحماس أن تتحول إلى كيان شبيه بحزب الله، مما يشكل تهديداً على المدى الطويل. ونتيجة لذلك، دعا بعض القادة الإسرائيليين إلى عمل عسكري أكثر شدة. فهم يطالبون بالتعمق أكثر داخل القطاع كجزء من عملية عسكرية تهدف إلى إنشاء منطقتين عازلتين: واحدة في الشمال والشرق لدفع الصواريخ بعيداً عن الحدود الإسرائيلية وأخرى تمتد من ممر فيلادلفيا لفصل غزة عن مصر بطول ثلاثة كيلومترات إلى الشمال من أجل قطع الطريق على التهريب.³³⁷

وعندما سئل أحد كبار مسؤولي وزارة الدفاع الإسرائيلية عن احتمال وقف إطلاق النار في ديسمبر 2007 كان جوابه:

إن موافقة إسرائيل على وقف حقيقي لإطلاق النار يتوقف على شروط: لا للحشود العسكرية، ولا للتدريب، ولا لتسليح الأسلحة. فبدون هذه الشروط فإننا ببساطة سوف نعطي حماس الوقت لتعزيز وبناء ترسانتها. هذه الشروط يكاد يكون من المستحيل الإيفاء بها بسبب طبيعة حماس. وهم مخيفون بشكل كبير لأنهم يضعون خطط على المدى الطويل، فهم لديهم الوقت. إنهم ليسوا في حاجة أن يقتلوك أمس لأنهم يستطيعون قتلك غداً.³³⁸

ويبدو أن القيادة الإسرائيلية تسير في اتجاهين متنافسين، فبينما كثفت مصر جهودها للتوصل لوقف إطلاق النار، بدت إسرائيل أكثر انفتاحاً لفكرة اتفاق غير رسمي من شأنه أن يوقف العنف. يبدو أن المحادثات غير المباشرة بين إسرائيل وحماس هذه المرة تتمتع بمباركة الإدارة الأمريكية، التي وبعد طول انتظار أقرت

محادثات سلام مع إسرائيل. وبالفعل، فمع كل دورة عنف جديدة تتوغل إسرائيل أكثر داخل غزة ويتعاطف الفلسطينيون مع الضحايا في غزة أكثر من أي وقت مضى، ويسقط عباس أكثر من نظر الشعب الفلسطيني، ويزداد احتمال امتداد المواجهة إلى الضفة الغربية.

وحتى الآن، كان رد إسرائيل على حملة حركة حماس لوقف إطلاق النار سلبياً، وإن كان لا يخلو من بعض استجابات الذات. ولوقف هجمات القسام بالوسائل العسكرية فإن البديل المحتمل لذلك هو إعادة احتلال معظم إن لم يكن كامل قطاع غزة من أجل السيطرة على مواقع إطلاق الصواريخ ومنع تهريب الأسلحة. ولكن لا هيئة الدفاع ولا القيادة السياسية يريدون إعادة احتلال الأرض التي انسحبت منها إسرائيل مؤخراً؛ فهم يدركون جيداً مخاطر العمليات البرية والثمن الباهظ الذي سيترتب عليه. توقع قائد سابق في الجنوب سقوط آلاف الضحايا³³¹ - وهو عدد يبدو غير واقعي بالمرّة بالنظر إلى حصيلة القتلى في شهر فبراير ومارس.

كما يحذر خبراء الاستخبارات الإسرائيلية من ما قد يحدث بعد ذلك داخل غزة: "إذا كانت السياسة هي تدمير حماس كقوة سياسية قادرة على البقاء، ستحصلون على أمراء حرب. بدون حماس، ستصبح غزة منطقة عازلة".³³² وبنفس القدر من الأهمية لن تكون هناك أي إستراتيجية انسحاب واضحة. ففي حين أقترح البعض أن تسلّم إسرائيل غزة بعد إعادة احتلالها إلى مجلس وصاية دولي الذي من شأنه أن يسلمها بعد ذلك إلى السلطة الفلسطينية، إلا أن الفكرة تبدو وهمية. كما يؤكد مسؤول إسرائيلي: "من سيريد أن يدير غزة تحت ظروف عدائية؟ سنكون قد تورطنا بعد إعادة احتلال أرض أردنا بشدة أن ننسحب منها ولن نكون قادرين على تسليمها".³³³

ومن الناحية السياسية هناك من يدعو لإتباع أسلوب مختلف، فطبقاً لأخر استطلاع رأي يوجد حوالي 64 في المائة من الإسرائيليين يؤيدون مفاوضات مباشرة مع حماس لوقف إطلاق النار وإطلاق سراح جلعاد شاليط.³³⁴ ويلقى هذا الرأي تأييد كلاً من المسؤولين الإسرائيليين المعتدلين المسمون بالحمائم³³⁵

³³¹ يقول رجل عسكري كبير سابق أن حوالي 5000 من سكان غزة سيقتلون في عملية ينفذها جيش الدفاع الإسرائيلي لإنشاء منطقة عازلة تبلغ مساحتها 3 كم شمال معبر رفح، اقتراح قدمه الميجور جنرال يوم توف ساميا، الرئيس السابق للقيادة الجنوبية، 22 نوفمبر 2007. يذكر مسئولون إسرائيليون أن حركة حماس ليس لديها مكانا تذهب إليه ماعدا غزة، وهم يتوقعون حرب مدن من النوع الذي شهدناه في مايو 2007 عندما دمرت القوات اللبنانية مساحات من مخيم نهر البارد لاستئصال 400 مقاتل، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مسئول أمن إسرائيلي، القدس، نوفمبر 2007.

³³² مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول كبير سابق في الاستخبارات الإسرائيلية، تل أبيب، نوفمبر 2007.

³³³ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول إسرائيلي،

مارس 2008.

³³⁴ عارض 28 في المائة، صحيفة هآرتس، 27 فبراير 2008.

³³⁵ في سبتمبر 2007، وقع الروائيون الإسرائيليون أموس أوز وأب. يهوشيا وديفيد جروسمن وإلي إمبر، ضمن آخرون، على عريضة تحت على توقيع وقف لإطلاق النار مع حماس. انظر أيضاً مقالة يوسى بيلين في الواشنطن بوست، 23 نوفمبر 2007.

³³⁶ Mother Jones، مارس 2008. قال بن اليعازر وزير البنية التحتية الوطنية "إذا طرح اقتراح جاد وواقعي، وإذا كانت حماس مستعدة لمناقشة وقف لإطلاق النار طويل الأجل، ولوقف الإرهاب ولوقف التهريب وفتح المحادثات بشأن الإفراج عن جلعاد شاليط، سأذهب إلى المفاوضات"، صحيفة هآرتس، 21 ديسمبر 2007.

³³⁷ "يجب أن يكون معبر فيلادلفيا أول شيء نحمله، نحمله للأبد، ونحلى منطقة تمتد شمالاً بطول 3 كيلو متر. ستكون التكلفة عالية جداً بالنسبة للإسرائيليين والفلسطينيين، لكن ليس أمامنا حلاً آخر"، عرض ساميا.

³³⁸ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد كبار المسؤولين في وزارة الدفاع الإسرائيلية، تل أبيب، ديسمبر 2007.

مراقبين أوروبيين عند معبر رفح للتحقق من الجمارك الفلسطينية وإجراءات الهجرة ومنع تهريب الأسلحة والمتفجرات والتنسيق مع إسرائيل هذا من ضمن مهمات أخرى.³⁴³ تم وقف العمل بهذا الاتفاق عند إستيلاء حماس على غزة ويجب أن يستأنف العمل به بطريقة تعكس الوقائع الجديدة. وبالفعل فقد تم تغيير العناصر الأساسية في اتفاق معبر رفح حيث لم يعد هناك وجود للموقعين على الاتفاق عند المعبر ما عدا مصر وحماس وهم ليسوا طرفاً في الاتفاقية.

يريد عباس العودة الى الاتفاق وإرسال قوات أمن السلطة الفلسطينية إلى المعابر.³⁴⁴ وتطالب إسرائيل بضمانات إقليمية قوية وإجراءات دولية ملزمة ضد تهريب حماس للأسلحة.³⁴⁵ وقد طلبت حماس أن يتم تعديل الاتفاق كلياً رافضة أى دور لإسرائيل أو وجود لأمن السلطة الفلسطينية عند المعبر، ومصر على أن تكون مصر المحور الرئيسي ومهددة باللجوء إلى أشكال جديدة من الإجراءات إذا استمر الإغلاق.³⁴⁶ وتريد مصر أن تنقضى

بأن ما يحدث في غزة سوف يكون له تأثير مباشر على ما ستخرج به عملية أنابوليس وأن العنف في غزة سوف يفشل المؤتمر لا محالة.³³⁹ وفي الوقت نفسه، وبالنظر الى القلق المتزايد إزاء تحول حماس إلى حزب الله آخر، كان مسئولو الأمن القومي الإسرائيلي يعدون لهجوم أكثر كثافة على غزة ، حيث صرح العديد منهم لمجموعة الأزمات الدولية أنها فقط مسألة وقت وستكون هناك عملية أكبر تستهدف تدمير منهجي لأدوات ورموز سلطة حماس بالرغم من أنها لن تتطوى على وجود طويل الأجل في غزة.³⁴⁰ ووفقاً للتقارير فإن وزير الدفاع إيهود باراك على وجه الخصوص لم يتخل تماماً عن الاعتقاد بأنه باستطاعة أي عملية عسكرية أن تطرد الإسلاميين من السلطة.³⁴¹

وبالنظر الى احتياجات ومصالح كل الأطراف المختلفة، أي وقف لإطلاق النار قابل للإستمرار يجب أن يشمل:

□ وقف كامل لإطلاق الصواريخ وغيرها من الأعمال العسكرية التي تقوم بها حماس وفرض هذا القرار على جميع الفصائل الفلسطينية الأخرى.

□ وقف كامل للأعمال العسكرية الإسرائيلية في غزة، الا في حالة الرد على تهديد فوري مؤكد يتعلق بخرق البند السابق.

□ جهود حقيقية من جانب مصر وبلدان أخرى لوقف تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة، الأمر الذي سيوجب الوصول إلى حلول بناء أكثر مثل مراقبة أفضل لممر فيلاديفيا، حيث أنه ثبت أن حتى إسرائيل لم تكن قادرة على منع التهريب أثناء احتلالها لغزة.³⁴²

□ فتح كل من معبر رفح بين غزة ومصر ومعابر أخرى بين غزة وإسرائيل للسماح بتدفق منتظم للسلع.

ومسألة المعابر ليست الأقل تعقيداً. فبعد انسحاب إسرائيل في سبتمبر 2005، تم توقيع اتفاقية المعابر في نوفمبر 2005 لإدارة معبر رفح ومعابر أخرى بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية والإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، نصت على وجود

³³⁹ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع دبلوماسي مصري ومسؤولين أمريكيين، واشنطن العاصمة، مارس 2008. قال مسئول اسرائيلي: "هناك اعتراف متزايد في إسرائيل والولايات المتحدة بأن هناك صلة بين ما يحدث في غزة وما اذا كانت عملية انابوليس ستنتج. بدأوا يستوعبون ذلك. لكنهم لم يصلوا للدرجة التي يكون فيها صانعي القرار على استعداد لتغيير افتراضاتهم بشأن حماس"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مارس 2008. قال مسئول أمريكي: "لسنا أعمياء. نستطيع أن نرى أن تصعيد العنف يضر بفرص عملية السلام"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، واشنطن العاصمة، مارس 2008.

³⁴⁰ مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، تل أبيب، 7 مارس 2008.
³⁴¹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول اسرائيلي كبير سابق، مارس 2008.

³⁴² بما أن التهريب يقع من خلال أنفاق تمتد من الجزء المصري من رفح إلى الجزء الفلسطيني منها، وحيث أن عمليات التهريب عادة ما يتورط فيها أعضاء لنفس العشيرة أو الأسرة الموجودة على جانبي الحدود، فمن الصعب وقف عمليات التهريب من ممر فيلاديفيا نفسه، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول اسرائيلي سابق، مارس 2008.

³⁴³ وبعد تشغيل المعبر بالكامل، انتشرت بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية (EUBAM) عند معبر رفح، حيث قامت بمراقبة حرس الحدود الفلسطينية ومكاتب الهجرة ، وعند معبر كيريم شالوم حيث قامت مع أفراد الأمن الفلسطيني والإسرائيلي في غرفة الإتصال بمراقبة المعبر من خلال الكاميرات ، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية (EUBAM)، القدس، مارس 2008.

³⁴⁴ قال وزير الداخلية عبد الرزاق البيحي، إن وجود السلطة الفلسطينية "سيؤد شرعية السلطة الفلسطينية على جميع أنحاء أراضيها، حتى آخر شبر فيها: رفح"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، رام الله، نوفمبر 2007. اقترحت السلطة الفلسطينية أن يعود أعضاء الحرس الرئاسي إلى معبر رفح "على الجانب المصري" لتفادي أى احتكاك مع حماس. "يمكنهم أن يعملوا خلال اليوم عند معبر رفح وفي المساء يعودوا إلى الجانب المصري"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في السلطة الفلسطينية، رام الله، مارس 2008.

³⁴⁵ "استعداد إسرائيل لتحقيق وقف لإطلاق النار مرتبط كلياً باستعداد مصر لوقف تهريب الأسلحة"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في الأمم المتحدة، القدس، مارس 2008. ووصف التقارير التي تتحدث عن قيام مصر بهدم العديد من الأنفاق في بداية مارس واستعداد الولايات المتحدة المتزايد لمساعدة مصر في فرض الرقابة على الحدود بأنها "مؤشر إيجابي".
³⁴⁶ قال أحد كبار المسؤولين لمجموعة الأزمات الدولية: "أبو مازن هو رئيس الجمهورية، ولكن نحن الحكومة، والحكومة هي التي تشرف على الحدود، ليس الرئيس"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مدينة غزة، يناير 2008. وبالمثل، قال سعيد صيام: "من الممكن ان نوافق على عودة العمال المهنيين التابعين للسلطة الفلسطينية على الحدود، ولكن ليس أفراد الأمن. إن الأمن مسئولية حكومة غزة. إن قوات الأمن الوطني - جيشنا - متمركز على الحدود. والحرس الرئاسي ليس له وجود في قطاع غزة. هل يمكنهم الرقابة عن طريق التحكم عن بعد؟" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع أحد مسئولي حماس، مدينة غزة، فبراير 2008. كما عبر مسئولون في حماس عن قلقهم من أن السلطة الفلسطينية قد تسعى لتحويل المعابر إلى قواعد عسكرية "لتغزو بها بيت حانون عن طريق رفح"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسئول في حماس، مدينة غزة، مارس 2008. قال صيام إن إسرائيل "لا تستطيع أن تضطلع بأي دور على الحدود. انتهى اتفاق رفح. تم فرضه. ونحن بحاجة الى اتفاق سيؤثر على واقع جديد. وقد ترك المحتل غزة. لماذا يجب ان يستمر في التأثير على المعبر؟ رفح هي الحدود الوحيدة التي يستطيع ان يعبر شعبنا خلالها من والى غزة. انها حدود مصرية فلسطينية. لا تستطيع إسرائيل أن تضطلع بأى دور على الحدود". وبعد اغلاق المعبر عقب الاختراق، حدد مسئولو حماس في غزة موعد نهائى بعد شهرين لتسوية الوضع في رفح، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع البرلماني صلاح البردويل، مدينة غزة، فبراير 2008. هدد القادة من حدوث "انفجار" لو لم يتم

نظرا لانعدام الثقة بين الطرفين وهشاشة أي اتفاق من هذا القبيل، يجب أن يكون هناك وجود لطرف ثالث داخل قطاع غزة، على طول حدودها مع إسرائيل ومصر، ويكون مكلفاً بالإشراف على امتثال الأطراف بالأمن وتنفيذ الالتزامات الأخرى.

من المرجح أن تحقيق مثل هذا الحل سيستغرق وقتاً وسيطلب سد فجوات كبيرة بين إسرائيل وحماس، وكذلك بين حركتي فتح وحماس وغيرهم. ولكن المطالب الإنسانية ملحة ولا يمكن أن تنتظر. وللتصدي لهذه المطالب الإنسانية ينبغي على الأطراف أن تتخذ إجراءات قصيرة الأجل من أجل إحداث زيادة كبيرة في تدفق السلع والسماح فوراً بعبور من هم في حاجة إلى الرعاية الطبية والطلاب والأفراد الذين يعيشون في بلدان أخرى فضلاً عن توصيل المساعدات الإنسانية من البلدان التي ليس لديها علاقات مع إسرائيل. وبسبب أن إسرائيل لن تتعامل مع سلطات حماس في غزة فمن المرجح أن هذا سيتطلب وجود طرف ثالث (مثل الأمم المتحدة أو متعهد خاص) للتوسط بين الجانبين والمساعدة في إدارة المعابر.

غزة / القدس / بروكسل ، 19 مارس 2008

تكرار التدفقات البشرية التي عبرت الحدود الى أراضيها وعدم الاستقرار في منطقة الحدود الذي يمكن أن يؤدي إلى أعمال عسكرية.³⁴⁷

الهدف من أي حل ينبغي أن يكون السماح بعبور أكثر حرية للسلع والبضائع ومنع تهريب الأسلحة، وإعطاء حركة حماس دور في الاستقرار وضممان وجود السلطة الفلسطينية عند المعابر. وفي حين أن عباس يخشى أي عمل من شأنه أن يفضي الشرعية على سلطة حماس في غزة، إلا أن الإجراء البديل يبدو غير واقعي وهو إرسال قوات السلطة الفلسطينية إلى المعابر من دون التشاور والتنسيق مع حماس من شأنه أن يفضي إلى عدم استقرار من جديد، وعنف، وفي نهاية المطاف، إغلاق المعابر. أي حل عملي ينبغي أن يشمل:

- عودة قوات السلطة الفلسطينية إلى المعابر الحدودية وحدودها الخارجية ووضع قوات حماس على مسافة أبعد من المعابر والتنسيق بين الإثنين.
- الالتزام من جانب حماس بوقف تهريب الأسلحة إلى غزة واتخاذ خطوات جديدة من جانب مصر، وذلك بالتنسيق مع الجهات الإقليمية والدولية لوقف التهريب.
- عودة بعثة مراقبة الإتحاد الأوروبي (EUBAM) إلى نقطة عبور رفح.³⁴⁸

فعل شيء، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، سعيد صيام، مدينة غزة، فبراير 2008.

³⁴⁷ يخشى بعض المحللون أن مع استمرار حالة عدم الاستقرار قد تصبح سيناء المسرح القادماً لناشطي الجهاد، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، القدس، فبراير 2008. أقر مسؤولون مصريون أن لديهم بالفعل مشكلة هناك مع العناصر المتطرفة والبدو وأنهم يخشون أن وضع غزة قد يؤدي إلى تفاقم المخاطر، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤولين الأمن المصري، القاهرة، 1 مارس 2008. نحو 35 في المائة من سكان غزة من البدو وهم يحافظون بصفة عامة على علاقات وثيقة مع الأقرباء الموجودين على جانبي الحدود المصرية. انظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية، Inside Gaza, op, cit، وايضاً تقرير مجموعة الأزمات الدولية حول الشرق الأوسط رقم 61، Egypt's Sinai Question، 30 يناير 2007. سعت حماس لتبديد مخاوف القاهرة بشأن أي تهديد إسلامي داخلي. "مصر تعرف أننا نستطيع أن نحمل أمنها القومي. كنظام هي تخشى الحركة الإسلامية. لكننا مستقيلين عن جماعة الإخوان المسلمين في مصر، ولن نتدخل"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع عضو المجلس التشريعي الفلسطيني صلاح البردويل، مدينة غزة، فبراير 2008.

³⁴⁸ وافقت كل من حماس والسلطة الفلسطينية ومصر وإسرائيل على عودة بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية (EUBAM) إلى رفح، لكن لا تزال هناك خلافات على موقعها: إسرائيل تفضل أن تظل في عسقلان، وتصر حركة حماس ان تنتقل الى غزة أو العريش، مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤولين إسرائيليين ومسؤولين في حماس، تل أبيب وغزة، فبراير 2008. اقترح بعض المسؤولين الإسرائيليون ضرورة التوصل إلى اتفاق جديد لزيادة بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية حتى تتمكن من توفير وجود آمن ومضاد للتهريب بجانب حدود غزة مع مصر التي يبلغ طولها 14 كم. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، مسؤول اسرائيلي، القدس، مارس 2008. ولكن مسؤولي الإتحاد الأوروبي أعربوا عن قلقهم من أن هذا سيتطلب قوة مكونة من 1000 فرد؛ مما قد يؤدي إلى استنراجهم إلى الصراع. "في اللحظة التي نتدخل فيها، نصبح العدو، المعتدى، والمحتل"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول في بعثة الإتحاد الأوروبي للمساعدة الحدودية (EUBAM)، القدس، مارس 2008. ولهذا السبب، يجب

أن يقتصر وجود الإتحاد الأوروبي على المعبر نفسه، في حين تتحمل القوات المصرية الجزء الأكبر من مسؤولية الرقابة على طول باقي الحدود.

ملحق أ خريطة غزة

